يوميات جاسوس أمريكي روسي

مقدمة

كنت هاربا معظم حياتي.

لم أحظى بيوم سلام، ولم يكن لدي ترف تزيين منزل أعيش فيه، لأنني منذ سن الثالثة والعشرين، لم أبقى في نفس المكان لأكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. لم أتمكن من امتلاك سيارة لفترة طويلة جدا - كان ذلك خطرا كبيرا حيث سيتم تعقب سيارتي ومتابعتها واستهدافها. كانت فرحة حفل الزفاف غائبة عن حياتي، وحفله الزفاف التي رسمتها على عجل والتي تمكنت في نهاية المطاف من ترتيبها شابتها إطلاق للنار ببندقية أكثر فتكا وحدث اعتداء مميت.

لم يكن لدي اي ارتياح حتي لحمل طفلي ، لم اتمتع بغروب الشمس دون القلق بشأن قاتل في انتظاي لاطلاق النار علي ، لا يمكن أبدا أن انعم في شاطئ خاص للحصول علي تان دون القلق بفكره وجود طائرة بدون طيار سوف تضرب وتقتلني و كل من حولي في لحظة. لم أبقي الستائر مفتوحة لأشعة الشمس ولم أعرف أبدا شعور السير في الشارع دون الحاجة إلى إخفاء وجهي وهويتي.

لم يكن لي شرف تناول الطعام في مطعم لطيف دون أن يتم وضع المخدرفي طلب الطعام الخاص بي أو تعريضه لعوامل الأعصاب من قبل النوادل والطهاة المأجوريين. لم أتمكن من استخدام مرحاض عام دون أن أخاف من الشخص الذي دخل الحمام خلفي. وأخيرا، لم أستطع الوثوق بأي شخص تحدثت إليه دون أن أعتقد أنهم دفعوا لإيذائي أو تم إرسال رجال مأجورين لقتلي.

المحاولات على حياتي (لقتلي) أصبحت شائعة لدرجة أنني توقفت عن الخوف منها. كان الأمر مرهقا نوعا ما للعثور على قاتل أو قاتل يتربص في كل زاوية. سواء كان الانطلاق من مترو أنفاق أو حجز فندق ، كان شخص ما يتسلل إلي ويحاول دفع حربة في أحشائي. لم يعد بإمكاني الوقوف بالقرب من النوافذ دون أن أجد رصاصة تطن أمامي. الرجل ، الذي كنت أعتبره بمثابه شخصية الأب ،هو الذي وظف هؤلاء القتلة ليقتلوا حياتي ،لقد كان قاسياً. ما ربحه بقتلي كان لغزا.

لقد تُركت لمتابعة حياتي بعد وفاة والديّ. غير محبوب في دار للأيتام ،و قضيت فترة مراهقتي في وسط منظر طبيعي ثلجي في سيبيريا. كان الفراغ الشاسع مشهدًا قمعيًا ، يغرق فيه الهجر والمأساة. شعرت كأنني على حافة العالم وسبب نجاتي كل يوم كان من خلال استعادة ذكريات الحب الذي فقدته. لكن كان لابد من قمع تلك الذكريات أيضًا.

يطغى على عقلي تذكر وجه أمي الجميل وابتساماتها الرقيقة ، ويستهلك قلبي بالحزن. كنت أعرف أنه لا يوجد أحد ليعتني بي . لذا ، إعالة نفسي أصبحت طبيعتي الثانيه. ولكن هذه المرة، شعرت بشعور مختلف. كان الشعور بالخيانة حادا جدا، وكنت أسمعه يصرخ في رأسي. الرجل الذي وثقت به، و كنت اعتبره الأقرب إلى شخصية الأب الذي افتقده، قد ألقى بي تحت الحافلة.

كنت ظلا لا غنى عنه في عالمه وبمجرد أن انتهي من الاستفاده مني ، لم يكن هناك سبب لي للعيش. أرادني أن أخرج من حياته، أرادني أن أختفي من حياة ابنته وأخيرا أرادني أن أعاني لأخذ مملكته الصغيرة.

مهما كان سلوكه فظيعا تجاهي الآن، لم أستطع إلا أن أتذكر إحسانه الماضي تجاهي. كيف أنسى الطريقة التي تتميز بنكران الذات و التي عرض بها إنقاذي من أكثر بيت مخيف كنت جزءا منه؟ لقد عرض علي مخرجا من فكي الموت في وقت كنت متأكدا فيه أنه لا يوجد أمل في الخلاص.

تشرين الأول/أكتوبر 1975

بعد وفاة أمي، واعتقال زوج أمي بتهمة قتلها، أعطتني المحكمة خيارا واحدا فقط: وجود مؤقت في دار أيتام إنجليزية. وبمحض الحظ - أو سوء الحظ - تم نقلي من دار الأيتام الحكومية في لندن إلى موسكو، المنزل الأصلي لعائلة والدي. لقد آووني لفترة وجيزة تحت سقفهم حتى أصبحت حياتي معهم مرهقة للغاية بالنسبة لهم. ادعى جدي أنني لست من سلالته. وغيروا لقبي.

دون ضجة كبيرة، تم شحني إلى دار أيتام في سيبيريا، على بعد آلاف الأميال من البلد الذي ولدت فيه. لم يكن معي جواز سفري أو أي وثيقة أخرى. لم أستطع تحمل البرد والجوع الذان يغزوان مساكن الدولة، وبحلول ذلك الوقت، وصلت إلى سن المراهقة، وكنت قد تعاونت مع حفنة من الصبية الصغار وبدأت في البحث عن معيشة بديلة.

لا أعرف كيف نجوت كل شتاء في دار الأيتام. الثلج والبرد يضربان الألواح المفككه من مسكننا والمطر الجليدي يتسرب الي البطانيات التي كانت موبوءة بشدة بالبق والبراغيث. جعلنا الإرهاق التام ننام بشكل دوري في الليل، متجاهلين لحظات الجوع الذي قضم في بطوننا. أتذكر النوم مع حذائي في محاولة مني للتقليل من البرودة ، ولكن الجوارب المتعفنة كانت تجعل قدمي منتفخة وتسبب لي حكة هستيريه.

لم يأت النهار براحه لأجسادنا المتهالكة. تسببت اللدغات المفرطة من القمل في تحفيز القيح أسفل قدمي ، مما جعل المشي إلى الخارج صعبا بشكل مضاعف. وكان معظم الأيتام يعانون من الجرب واليرقان. وتألم قلبي بشكل خاص لمعاناة الأطفال المعوقين الذين كانوا يقيمون معنا. ويعاني ثلثا الأطفال من نوع من الإعاقة، وكما علمت فيما بعد أنه ليس من قبيل المصادفة أن ينتهي بهم المطاف جميعا في دار حكومية. لم يكن معظمهم أيتاما - كان آباؤهم

يعيشون في المدن - أحيانا في أحياء غنية - لكنهم تخلوا عن أطفالهم بعد الولادة بوقت قصير عندما لاحظت الممرضات أو القابلات تشوهات واضحة.

لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب الوصم الاجتماعي أو نقص الوعي الذي جعل والديهم يتخلون عنهم في قرية نائية في سيبيريا، لكنني أشعر بالأسف بشكل خاص على الأطفال المصابين بمتلازمة داون. تمكن المراهقون من التواصل معنا واوصلو لنا فكره كونهم جائعين دائما. في إحدى الأمسيات، في خضم فصل الشتاء، قررت مساعدتهم. جمعت العديد من الأولاد من دور الأيتام وقررت المغامرة في الخارج. كنت بالكاد في الثالثة عشرة من عمري، وكان أقراني أكبر سنا بقليل. اتفقنا على أنه يجب القيام بشيء ما بشأن عدم وجود الطعام لذلك قررنا الذهاب إلى الأسواق القريبة.

الرحله كانت أكثر من عديمة الفائدة.لأن أصحاب المتاجر أبعدونا عن أسواق السمك وذلك عندما لاحظوا أننا لا نملك أي مال. عدت إلى دار الأيتام متحديا العواصف الثلجية المسائية ومتجاهلا الرياح الجليدية الحادة التي قطعت جسدي مثل شفرة الحلاقة وكان وجهي ملطخ بالدموع الغاضبة.

نظرت إلى الأولادووجدتهم ايضا يبكون . لاحظت وجوههم منتفخه متوهجه من الغضب الشديد وخيبة الأمل.

في المرة التالية، قررت الخروج بمفردي والبحث عن الطعام لرفاقي الشباب. بدأت في وقت مبكر من اليوم التالي. مشيت في الثلوج العميقة لأميال، وتسلقت بشدة فوق التلال الموحلة التي كانت قد تجمدت كتلال داكنة. مرتين، أردت أن أعود إلى الدفء النسبي للكوخ ولكن الوجوه المستديرة المتلهفة لرفاقي الأقل حظا أجبرتني على الاستمرار. كنت أعرف أنني يجب أن أعود بطعام لهؤلاء الأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة.

بحثت لساعات، لكن لم يكن هناك شيء في هذا الجانب من المدينة. كان علي الذهاب إلى الطرف الآخر من القرية. سحبت معطفي حول جسدي بإحكام قدر الإمكان واستنشقت بعمق استعدادا للرياح الجليدية وعبرت النهر الضيق والمتجمد. تجمدت قدمي واصبحت تؤلمني بشدة، مما تسبب في دموع الألم في عيني. لكن الرياح الجافة الباردة لم تسمح لي بالرفاهية للبكاء. تجمدت دموعي قبل أن تتسرب على خدي.

كنت جائعًا وأصبحت عطشانًا من الجهد المبذول ، فقمت بجمع حفنة من الثلج وأكلتها بينما كنت أرتحل. وتناثرت عدة صفوف من أسواق الأسماك المجمدة عبر طريق رئيسي. كنت أتسكع في المنطقة لفترة طويلة ، وأجمع أي شرائح من الأسماك سقطت على الثلج.
انتظرت هبوب رياح مفاجئة لإبعاد الأسماك المجففة عن اماكن العرض في واجهة السوق.
أثمرت جهودي وتمكنت من حشو حفنة من الأسماك المجمدة داخل سترتي. لكن السماء كانت مظلمة وهدد الهواء البارد بتجميد جمجمتي. بالكاد أستطيع التفكير. مرتجفًا من البرد والإرهاق ، عدت عبر المناظر الطبيعية القاتمة ، ممسكًا بقطع الخبز والسمك المجفف التي تمكنت من جمعها من المتاجر المختلفة

عندما عدت إلى دار الأيتام، احتشد الأطفال حولي، واخذوا أي قطع صغيرة من الطعام التي يمكنني تسليمها لهم. لم يكن كافيا لنا جميعا، لكن بطريقة ما، تشاركنا جميعا بسعادة. في ذلك المساء، شعرت أنني في المنزل للمرة الأولى. على الرغم من أنني ولدت وترعرعت في لندن، وعلى الرغم من أن والدتي كانت من المنطقة الإسلامية في الشيشان، إلا أنني اعتبرت نفسي صبيا روسيا حقيقيا. هؤلاء الأطفال كانوا رفاقي وإخوتي. و بدهشة مفاجئة، أدركت أنني أحبهم مثل عائلتي. لم تخف المعاناة بين عشية وضحاها لكنني حاولت ألا أتأثر بها. كان البرد لا يزال عدوا هائلا. يفرز الصقيع في قدمي وومع ذلك تعلمت العيش مع الجروح المتقيحه من شده البرد.

بحلول منتصف أكتوبر، بدأنا نلاحظ تعفن ملابسنا من البرد. وكان للعديد من الأطفال قفازات ولكن البقية منهم تحدوا شتاء سيبيريا بأيدي عارية. أصابعنا المجمدة تتصدع من البرد القارس ولكن لا يشتكي أي احد منا. كنت أشعر بالحب القوي بين الأطفال ، وهذا الحب كان يعمل علي تعزيز عزمنا على البقاء على قيد الحياة. لعدة أشهر، واصلت جمع الطعام للأطفال في دار الأيتام. وتمكنا من العثور على أسماك كبيرة وتداولناها مع أصحاب المتاجر. استخدمنا المال ، في بعض الأحيان، لشراء الأطباق المحلية مثل الأسماك المجمدة الرقيقة والطويلة و شرائح البطاطا.

كان عيد ميلادي الخامس عشر في خضم فصل الشتاء ولكن رفاقي الروس احتفلوا بهذا اليوم بكثير من الضجة وتمكنوا بطريقة أو بأخرى من الحصول على معطف فرو جديد. وكان هذا المعطف بمثابه أول قطعة من الملابس التي أمتلكتها منذ سنوات ولم تكن موبوءة بالقمل أو البق.وقد كنت متواضعا وممتنا. فقد كانت قطعة الملابس الجديدة هذه أكثر من مجرد منقذ في فصل الشتاء - ارتديتها للسفر إلى أبعد من ذلك في القرى والمدن. تعرفت على أطفال آخرين يعيشون في الشوارع ، في وسط المدينة. أعجبت بمهاراتهم وأفكارهم. وسرعان ما وجدت نفسي أنضم إليهم في رحلاتهم الليلية. فلم تكن كل أنشطتهم ضاره.

من رحلة إلى أخرى حتى وجدت نفسي متورطا في عملية سطو قبيحة. لم أكن أعلم أن رفاقي كانوا يعتزمون سرقة أحد البنوك، ولكن بحلول الوقت الذي اكتشفت نواياهم، كان قد فات الأوان حتى للانسحاب. كان هناك تبادل لاطلاق النار مع الشرطة، وعلى الرغم من هرب رفاقي، بقيت وراءهم للتحقق مما إذا كان مدير البنك الذي كان اصيب بالرصاص لا يزال حيا. كانت هذه حماقة. وقد تسبب تأخري هذا في أن تجدني الشرطة بالقرب من سلاح القتل وجثة.

لم يستغرق الأمر وقتا طويلا في المحكمة الروسية وتمت ادانتي إلى غرفة الإعدام. عندما ألقى القاضي حكمه، لم أستطع السيطرة على نفسي. هستيريا من الخوف والغضب، ناضلت من أجل الهرب من الغرفة، لكن الحارس أمسك ذراعي، وثبتني إلى المقاعد الخشبية. واصبحت ساقي تتقلب في جميع أنحاء المقعد، صحت وصحت في القاضي، متهمه بالكذب عني. ولكن فورتي لم تحرك مشاعر الموظفين وتم سحبي في سلاسل بعيدا عن قاعة المحكمة.

كنت بالكاد في السابعة عشرة من العمر عندما وقعت هذه الحادثة. ولم يغير القاضي الحكم الصادر بحقي. وبطريقة ما، وافقت لجنة عقوبة الإعدام على استخدام تركيز بينتوثال الصوديوم في تنفيذ الحكم. صرخت طوال الطريق إلى غرفة الإعدام، أكافح من أجل التحرر، أبكي بلا جدوى من أجل أمي الميتة. في عقلي الصغير، كنت أعتقد أن أمي كان يمكن أن تنقذني من هذا الخطر. لأول مرة في حياتي الصغيره، شعرت بالغرق بسبب مصيري، شعرت بانني هجرتني العائلة والأصدقاء على شاطئ الموت المقفر، مع الألم والبؤس فقط الذي يمتد إلى ما لا نهاية أمامي.

أغرقت صرخاتي اليائسة بزمجره الجلادين الذين كانوا يقودونني إلى الغرفة المنكوبة وعندما ربطوا جسدي الهزيل إلى النقالة، أغمي علي في خوف قبل أن يفرغوا محتوى الحقنة في مجرى دمي.

عندما استيقظت، كنت متأكدا من أنني كنت في ما بعد الحياة. لابد أن الغرفة ذات البلاط الأبيض كانت جنة لأن الجحيم لا يمكن أن يكون باردا وهادئا هكذا .وجدت نفسي مستلقيا على سرير، محبوسا داخل غرفة مستطيلة بلا نوافذ. ثم سمعت صوت جلجله الأقفال تفتح خارج الباب ودخل رجل. كان متوسط الطول وذو شعر أشقر وعيون زرقاء زاهية بدا إنسانا بما فيه الكفاية لكن موقفه المخيف أخافني. الرجل لم يقل شيئا ووضع ببطء نيجاتيف صورة على طاولة السرير بجانبي. كانت صورة لا تزال مصورة لمقبرة. نظرت إلى رقم قطعة الأرض، وأحصيت الصفوف، وأخيرا رأيت المنحوتات على شاهد القبر. اسمي كان منقوشا عليه و كان تاريخ الوفاة هو اليوم الذي أعدمت فيه، أو ظننت أنني فعلت.

أبريل 1982

أعطيت خيار يقشعر له الأبدان – اما العودة إلى قبري - هذه المرة حرفيا تماما - أو العمل للمنظمة التي أنقذتني من غرفة الموت. لم يكن خيارا حقا، بل كان خيارا لأكون صادقا، شعرت كأنه إنذار نهائي. ووافقت على خدمتهم.

بدأ تدريبي في اليوم التالي. و تعرفت على تقنيات القتال المختلفة في الفناء المموه للمخيم. تعلمت التصارع بالأيدي ونزع السلاح، فضلا عن أسلوب القتال غير المصرح به. وكان التدريب على الأسلحة يجري دائما بذخيرة حية. بذلت قصارجهدي وواصلت التفوق في معظم المجالات.

وقد كان دائما يراقبني مثل النسر ،على مسافة، الرجل الممتلئ الجسم مع عيون الجليد الأزرق الذي كان قد أقنعني لأول مرة للانضمام إلى التدريب. وكان يلاحظ اي ادق ضعف في ادائي. ساعات لا نهاية لها من رفع الأثقال، والتمارين البدنية المرهقة و أصبحت ممارسة الهدف الحساس هي القاعدة. كل أسبوع، كنا نتعرف على فنون الدفاع عن النفس وتقنيات المصارعة المختلفة من جميع أنحاء العالم.

اتضح لي ان الرجل ذو العيون الزرقاء هومدربي الشخصي. مدرب لا يرحم فهو يدربني و المجندين الآخرين بلا شفقه ويتعامل معنا باسلوب كسر الظهر. كان اسمه ميخائيل، لكنه أراد منا أن نخاطبه باسم مايكل لأننا كنا نتدرب على أن نجيد استخدام اللغة الإنجليزية. لم يتم الاستخفاف بأي تمرين أو روتين. إذا كنت الهث أو حتي توقفت لالتقاط أنفاسي بعد نوبة من التدريب العنيف، فالعقوبه هي ان يجبرني علي القيام بأشواط إضافية.

كان ميخائيل يقول لي "إذا كنت قد تدربت بجد بما فيه الكفاية، فإنك لن تكافح لالتقاط أنفاسك". ولكني استأت من النظام الصارم .و كان ميخائيل لا يتأثر بتجاوزاتي - عند لجوئي إلى رقص الباليه لاظهرالحركات التي كنت قد تعلمتها من والدتي راقصة الباليه وذلك عندما حان دوري للمشاركة في مبارزة أو قتال باليد ، بدلا من القتال في حلبة الملاكمة -وغالبا ما يضاعف تدريباتي ، لكنني كنت لا أزال مترددا في قبول الحياة الجديدة في المخيم. جعلني هذا الشخص أشعر أنني محاصر بشدة.

تأهلت لأصبح عميلا بعد أن أكملت ستة أشهر فقط من التدريب. كان مايكل فخورا بإنجازي وبعد زرع رقاقة تتبع في طرف عمودي الفقري، أحالني إلى مدير المخيم، وهو عقيد سابق خدم لعقود في الكي جي بي. أعطاني العقيد مهمتي الأولى: دخول مطعم واغتيال نائب سابق في مجلس الدوما. وقيل لي إن الهدف يزعم أنه متورط في تجارة أسلحة غير مشروعة. في سن التاسعة عشرة، تخرجت من مدرسة عسكرية، ولم أفكر أبدا في استجواب قادتي. لقد آمنت بما قاله العقيد .هدفي كان رجلا شريرا يحتاج للتخلص منه.

أنزلني مايكل أمام المطعم وسلمني سلاح مسدس من طراز P-96. و حذرني ان هذا اختبار لي. كان لدي خمس دقائق للقضاء على الهدف والعودة إلى السيارة. بعد ذلك، سيغادر مايكل وسأكون بمفردي. وأصر على أن المهمة الأولى كانت دائما تعتبر اختبارا لتقييم المجند. إذا كنت غير ناجح، فمن المرجح أن يتم الغائي. لقد تعلمت بعد أشهر عديدة ما المقصود بالمصطلح الضمني (الغاء المجند).

دخلت المطعم الراقي ورأيت هدفي جالسا في الجزء الخلفي من مساحة الطعام. وكان محاطا بثمانية حراس شخصيين. فكرت في خياراتي. إطلاق النار على رجل أعزل في مكان عام كان مهمة غير سارة. لا يزال كان علي أن أفعل ما يلزم القيام به. وقفت على مسافة وحاولت أن أصوب. على الرغم من ستة أشهر من التدريب وتمرير ممارسات الرماية بألوان طائرة ، كنت غير قادر على اطلاق النار على الرجل الذي كان يتناول الطعام بسعادة مع رجاله. بعد دقيقة من التردد، أغلقت عيني وسحبت الزناد. لقد فاتني بالطبع .ولكن تلك كانت بداية مذبحة كانت تكشفت. فتحت عيني وضغطت على الزناد، ولكن سمعت نقرات فارغة فقط. المسدس الذي أعطاني إياه (مايكل) لم يكن لديه أي رصاصات.

تنفست باطمئنان. لم يكن علي قتل أي أحد ومع ذلك ، كانت راحتي قصيرة الأجل. في حماسي لتنفيذ المهمة، كنت قد أهملت أن ألاحظ الرواد الذين كانوا يهمسون، وهم يشيرون إلى المسدس المرفوع في يدي. لمح هدفي وشاهدني أحمل المسدس وصرخ مناديا لحراسه. تحركوا بسرعة البرق واستخرجوا الرشاشات من معاطفهم وبدأوا في رمي وابل من الرصاص في وجهي. تجمدت للحظات، لكن بعد ذلك بدأ تدريبي يظهر ثماره فقد سقطت على الأرض وتدحرجت حتى وجدت ساترا خلف حانة المطعم.

استمر إطلاق النار باتجاهي، وأخيرا تجنبت من خلف الطاولة وتصديت لأحد الحراس، واستوليت على سلاحه ورددت بإطلاق النار. لا أتذكر كم من الوقت استغرق مني للخروج بأمان من المطعم، ولكن المواجهة كانت دموية جدا. معظم مرتادي المطعم فروا من الغرفة

وهدفي مع حراسه الثمانية ماتوا .وقفت متجمدا، أنظر في رعب إلى المذبحة. لم أصدق أنـني كنت مسـؤولا عن مـوت هـؤلاء النـاس كـان من الصـعب عـدم التقيـؤ. ثم سـمعت صـفارات الشرطة، وعرفت أنه يجب أن أهرب.

لقد تسابقت للخارج. مايكل كان قد رحل. و لم يكن هناك طريقة للعودة إلى المخيم. حطمت سلاحي و انطلقت سيرا على الأقدام، ووصلت إلى المخيم بعد خمس ساعات. عندما دخلت، رأيت مايكل ينتظر في الردهة. بدا خائب الأمل وقال لي أنني تأخرت. وكان من المقرر أن تكتمل المهمة في غضون خمس دقائق. حتى تلك اللحظة، كنت اتصنع الهدوء ، لكن صوته جعلني أنكسر. أمسكت بمايكل وحاولت خنقه. صرخت في وجهه لخيانتي، لإعطائي مسدسا لا يحمل رصاصات، لجعله يقتل كل هؤلاء الأبرياء. مايكل كان أقوى وتغلب علي وقال أنني كنت ضعيفا ولم يكن لدي ما يلزم لأصبح عميلا روسيا دوليا . كانت المهمة اختبارا لمعرفة ما إذا كنت قادرا على العمل تحت الإكراه. على ما يبدو، العودة إلى المخيم وانا على قيد الحياة يعني أنني قد نجحت. يموت 70 في المائة من المجندين في مهمتهم الأولى.

كانت هذه أول مهمة من بين العديد من المهام التي كان علي القيام بها. في كثير من الأحيان، كان المهمه اغتيال. وفي أحيان أخرى، صدرت لي تعليمات باقتحام مستودع وجمع المعلومات. وفي مناسبات نادرة، طلب مني العقيد التسلل إلى عصابة إجرامية من أجل العثور على هويـة زعيمها أو رعاتها. وفي حين أن العديد من أهـداف المعسـكر كـانوا من زعمـاء الغوغـاء وتجـار المخدرات، كان بعضهم سياسيين صادقين لا تتفق آراؤهم مع آراء العقيد. أرادنا أن نكـون آلات قتل مطيعة تقتل أعدائه من أجله .كنت غير راضي عن واجبـاتي. لم أكن أريـد أن أزهـق حيـاة إنسان آخر (بلا سبب)، لكن الأوامر كانت نهائيه. ويعـاقب على عـدم الامتثـال أشـد العقوبـات. في الأشهر القليلة الأولى، لاحظت مجندين جدد يختفون في هاويـة المخيم. قيـل لي في وقت لاحق أنه تم تصفيتهم(قتلهم).

يتم اعتبار أي شخص أداؤه أقل من المتوسط بانه غير جـدير بـالعيش. كـان أدائي الأولي غـير مرض ونتيجة لذلك، تم إرسالي في مهمات غيرتنافسيه لمدة سـتة أشـهر على التـوالي. وقـد شعر ميخائيـل، مـدربي الشخصـي الـذي جنـدني لهـذا المخيم، بلحظـة من التعـاطف، ولـذلك رافقني في أول مهمة لي. رأى كيف كـافحت لاخـتراق محيـط المبـاني المحصـنة بشـدة الـتي كانت على الأرجح مخابئ إجرامية. رأيت المجندين الجدد، رفاقي الذين كانوا متحجــرين مثلي، يهلكـون بجـانبي لكنهم لم يكونـوا علي قـدر من الشـجاعة لإطلاق النـار من سـلاحي. أشـفق ميخائيـل علي وبـدلا من إبلاغ العقيـد عن فشـلي، غطى عـني وبـدأ يرافقـني في معظم تلـك المهام الانتحارية. كان هناك فرصة واحدة في المئة فقط لأي شخص يخرج من تلـك الوظـائف على قيد الحياة، ولكن بقيت على قيد الحياة.

كان كل ما تم استدعائي للقيام به متناقضا مع طبيعتي. أمرت بقتل أشـخاص ليسـوا أعـدائي، لتدمير حياة أولئك الذين لم يلحقوا بي أي ضرر. وأوضح العقيد السـابق في الكي جي بي أنهم أعداء للدولة ولكن هذا شـيء لم يسـتطع عقلي الشـاب تميـيزه. عنـدما شـككت في أوامـره، أعلن أننا في حالة حرب ويجب القضاء على تلك الأهداف. تلقينا صورا بولارويد عن الرجـال أو النساء الذين كان يجب القضاء عليهم حتى يتمكن الاتحـاد السـوفياتي أن يكـون في مـأمن من تخـريبهم. في بعض الأحيـان، كـانت تاتينـا اوامـر بـالتعرف على ملـف الهـدف. وكـان بعضـهم مهندسين يعملون في محطة لتوليد الكهرباء أو محطة نووية. سياسي في لاتفيا. مالـك شـركة أدوية في أوكرانيـا. لم يبـدوا كمحـاربين يمكنهم إيـذاء العقيـد أو الـوطن الأم .لم أرد أن أكـون جزءا من تلك الحرب المجهولة.

بنهايه سنتي الثانية من التدريب بدات التحقق من الشعور المشؤوم حول الشكوك في اوامر العقيد. فمنذ بداية تدريبي، كنت قد استنتجت من أنشطة العقيد غير المصرح بهـا، أنـه لم يكن جزءا من برامج الاستخبارات السرية للحكومة السـوفياتية. كنت محقـا، على مـا يبـدو. وكـانت الحكومة المركزية قد تبرأت منه قبل سنوات ولكن هذا لم يمنـع الضـابط السـوفياتي السـابق الحازم من تنفيذ عملياته الدرامية الخاصة. وتهرب من التـدقيق الـذي أجرتـه الكي جي بي من خلال إجراء معظم عمله من ألمانيا الشرقية حيث كان ضـابط الاتصـال في مقـر ستاسـي في ليختنبرغ. بالإضافة إلى قضاء معظم وقته في برلين الشـرقية، قـام العقيـد بتـدريب المجنـدين داخل السياج الشائك لقلعته على قمة التل على ضفاف نهر سبري.

من كل قلبي احتقرت عملي .وكثيرا ما انطوى عملي على إعـدام رجـال اعـزل. عـدة مـرات، سمحت لضحاياي المحتملين بالفرار، حـتى أنـني سـلمتهم بعض المـال ليسـاعدهم ذلـك علي الفرار. اما من اين حصلت على المال فهذا موضوع اخر. قبـل اي مهمـة أو عمليـة، كنت أنـا وداستن نتعاون في التخطيط. كنا نتتبع بصمه المجموعات الاجراميه الرقمية .واستخدم داستن مهاراته التقنية الاستثنائية لسحب جزء من أموالهم السـوداء غـير القانونيـة إلى حسـاب خـارج الشاطئ. وسرعان مـا كـان هنـاك أكـثر من خمسـة حسـابات منفصـلة تمكنت منهـا شخصـيا. (داستن) كان لديه حصته الخاصـة من المـال من الغـارات الـتي قمت بهـا. لم أكن راضـيا عن النتائج. كانت المهمات محفوفة بالمخاطر. يرسل العقيـد فرقـا تكتيكيـة كاملـة لمداهمـة مقـر المجرمين، لكن حفنة فقط من الرجال يعودون من العمليات. وفي أغلب الأحيـان، يقعـون في مرمى النيران ويصابون بجروح أو يشوهون. ايإصابة خطيرة في هذه المهمة كـان شـيئا قـاتلا. لم يتسامح العقيد مع الأخطاء أو نقاط الضعف. كان يلغي (يصفي بالقتـل) أي شـخص يفشـل في ثلاث مهمات متتالية.

كنت محظوظا بشكل غريب، أوربمـا غـير محظـوظ لكـوني على قيـد الحيـاة ولم أصـب بـأذى لفترة طويلة. كان ذلك يعني أنني لن أقتل على يد العقيد لكنه يعني أيضا أنـني يجب أن أكـون قاتلا لاعداد كبيره من الرجال الآخـرين. وبعضـهم قـد يكـون بريئـا. في كـل مـرة يتم إرسـالي خارج المخيم تطاردني هذه الأفكار. واصلت الاستيلاء على كميات كبيره النقد وغيرهـا من كـل ما هو ثمين وشحنتها إلى حساباتي المصرفية في تايلاند وهولندا. وعلى حد علمي، كـان هـذان البلـدان الوحيـدان اللـذان لا يمكن تعقب سـجلاتهما المصـرفية. سـاعدني داسـتن في إعـداد الحسابات بطريقة لا يستطيع العقيد تعقبها.

لم يكن الجشع المطلـق هـو الـذي دفعـني لسـرقة المـال من المجـرمين. لقـد خططت دائمـا وحلمت بمغادرة معسكر العقيد يوما ما، قبل أن يجعلني أقتل الكثير من الناس، قبـل أن أفقـد روحي تمامـا. كنت أعـرف أنـني بحاجـة لشـراء أعلى مسـتويات الجـودة من الأوراق المـزورة وتحمل العديد من الهويات المزيفة وحتى تغيير مظهري الجسدي بشكل دائم. كنت بحاجة إلى نقود لا يمكن تعقبها لذلك، ودفع المخيم لموظفيه راتبا هزيلا جدا، وذلـك أيضـا ببطاقـة ائتمـان مسبقة الدفع. كل شيء اشتريناه كان مراقبا من قبل مركز القيادة المركزي تم منح كل مجند شقة مفروشة في ضواحي موسكو، لكنني اكتشفت في أول يوم لي أن الشقة بأكملهـا كـانت متنصتة بكاميرات وميكروفونات خفية. إزالتهـا سـتحذر العقيـد أنـني كنت على مسـتوى خطـة متمـردة لـذا طلبت مسـاعدة (داسـتن) .لقـد وعـدني بجهـاز تـداخل من شـأنه أن يشـوش الميكروفونات مؤقتا في كل مرة أقوم بتشغيله. لم نكن أحرارا أبدا. ليس للحظة. ولكن لتلـك

الدقائق القليلة التي كان جهاز التشويش نشطا في غرفتي . في ذلك الوقت فقـط كنت أتكلم وانا اعلم ان لا أحد آخر كان يسمع.

أيار/مايو 1984

واحـدة من المهـام الـتي عهـدت لي كـانت في الولايـات المتحـدة. حيث زودني خـبراء الأمن السيبراني في المخيم بأوراق وهويات مزورة. أعطيت اسما أمريكيا ومارست التحـدث باللغـة الإنجليزية الأمريكية واللهجة المحلية المختلفة. وبما أنني ما زلت أبدو شابا نسبيا، فقد أرسلت إلى أميركـا عنـدما كنت في الثامنـة عشـرة من عمـري في المدرسـة الثانويـة. أوراقي كـانت شرعية وقد تم تفسير غياب ولي الأمر أو أحد الوالدين في الوثيقة الـتي تنص على أنـني تحت رعاية الدولة للأيتام. أكد لي مايكل أنه بمجرد هبوطي في مطار نيويورك، سيتم اسـتقبالي من قبـل عملاء روس نـائمين(مختفين) آخـرين اسـتقروا بالفعـل في نمـط الحيـاة الأمـريكي. سيساعدونني على الاستقرار في حياتي الجديدة.

شعرت بالارتياح. كان الاضطرار إلى قتل عشرات الأشخاص كل شهر مؤلمـا. على الـرغم من أنني كنت متأكدا من أن أهدافي كانت مجرمين مدانين ورؤساء الغوغاء، إلا أنها كـانت لا تـزال مهمة غير سارة لإزهاق أرواح أولئك الـذين كـانوا غـير مسـلحين. كنت آمـل أن يعـني مغـادرة روسيا مستوى معين من الحرية بالنسبة لي. كان لدي أمل ضعيف في أن أصبح حرا.

وصولي إلى نيويورك كان غير رسـمي. لم يكن هنـاك الكثـير للقيـام بـه. أرسـل المخيم كلمـة بأنني كنت على الاستلقاء و الإنـدماج مـع السـكان المحلـيين. اسـتأنفت وضـعي في المدرسـة الثانويـة وتفـاعلت مـع الطلاب الآخـرين. وفي إحـدى جـولاتي من المدرسـة الثانويـة صـادفت زوجين كانا يعبران الشارع. بدت المرأة مألوفة بشكل غير مفهوم.

عند التركيز والفحص الدقيق، لاحظت أنها امرأة شيشانية من روسيا. وجه مألوف من المنزل، فكرت بشكل تلقائي، وتبعتهم إلى مسافة بعيدة. اتضح أن الزوجين أقاما على بعد ثلاث بنايات فقط من منطقة مدرستي. في الأشهر القليلة التالية، كنت قد رأيت المرأة تتجول في حـدائق مانهاتن، لكنهـا كـانت برفقـة صـبي صـغير في حـوالي العاشـرة من العمـر. لقـد كـان بحجمي بالضبط عندما مـاتت أمي قبـل عقـد من الـزمن .كنت في حـيرة ولكن سـرعان مـا اكتشـفت القصة الحقيقية وراء ابنها الجديد. كان الزوجان قد تبنيا طفلين وكانا يربيانهما كابنائهم. تعجبت من حظ الصبي الصغير الذي يعيش الآن مع المرأة الروسية المسـلمة وزوجهـا. تمـنيت ، على الرغم من أنني لم أعـد صـبيا صـغيرا، لـو كـان لـدي مـنزل محب، شـخص يحبـني دون قيـد أو شرط، كطفل خاص به.

أنا لا أعرف بالضبط ما الذي جعلني اشعر بالحنين. ولكن رؤية المـرأة ذكـرني بوالـدتي عنـدما كنت طفلا. لقد اعطاني هذا الأمل، مما جعلني أدرك بانه ربما كان هناك بعض الخير في هذا العالم ، ربما كان هناك أمل بالنسبة لي أن أعيش حياة مختلفة.

وفي الوقت نفسه، كنت قد تخرجت من المدرسة الثانوية، وفقا لغطائي الأمريكي، صدرت لي تعليمات لبدء الكلية في نيويورك. خلال الفصل الدراسـي الأول جـاءت مهمـتي الأولى. مايكـل

أرسـل وثيقـة مشـفرة من المعسـكر أعطتـني قائمـة بالرجـال الـذين يحتـاج عقيـدنا القضـاء عليهم .اثنان من أهدافي كانا سياسيين أمريكيين اصطدمت مصالحهم بمصالحنا.

بدأت التحضير للمهمه وعندما سنحت لي الفرصة، قمت بالاصفار على هدفي. لقد تعقبت أحـد السياسيين إلى مباراة بيسبول كان يحضر المباراة برفقـة ابنـه. وركـزت علي الهـدف وعندئـذ سقط بصري على الطفل الجالس بجوار السياسي. كان ابنه منهمكا في محادثة عميقـة معـه. صوبت مسدسي لكنني ترددت في الضغط على الزناد. كيف سيكون شعور الفـتى الصـغير إذا رأى والـده يمـوت أمامـه؟ سـيكون مؤلمـا جـدا وقاسـيا جـدا لا، أفضـل الانتظـار حـتى يكـون السياسي وحيدا.

لكن المبـاراة انتهت وغـادر الرجـل الملعب مـع ابنـه. بحثت عن فرصـة للتعامـل معـه ،طـوال الأسبوع التالي، لكنه كان محاطا بأمن صارم ولم تسنح لي الفرصـة للاقـتراب من السياسـي. في هذه الأثناء، أرسل لي (مايكل) رسالة تحذير ذلك الأسبوع. كان العقيد ينفد صبره لأنني لم أكن قادرا على تنفيذ مهمتي. ولا يزال ثلاثة من كل أربعة أهداف على قيد الحياة.

من الواضح أن الحكومة الأميركية كـانت تعمـل بشـكل مختلـف عن البلـدان الأخـرى. وعنـدما لاحظوا اغتيـال أحـد السياسـيين البـارزين، عـززوا الأمن للجميـع. ازدادت صـعوبة العثـور على مكان مناسب للقضاء علي الاهـداف. لم يكن أربـاب العمـل السـوفييت مهتمين بالأعـذار؛ بـل أرادوا نتائج. قـررت التصـرف بتهـور وتبعت أحـد الأهـداف إلى فندقـه في واشـنطن العاصـمة وحجزت غرفة في طابقه. وبينما كنت أعد بندقيتي القناصة، جاء عشرات الرجـال من الظلال، من خلف الأريكة، داخل الخـزائن، ومثـل الكـابوس، قيـدوني بإحكـام وعصـبوا عيـني، قبـل أن ينقلوني إلى مكان لم يكشف عنه.

كنت داخل غرفة مظلمـة مبطنـة بالمعـادن. عنـدما تكيفت عينـاي أخـيرا مـع الضـوء الخـافت، لاحظت رجلا يجلس أمامي خلف الطاولة الثابتة. كافحت من أجـل الوقـوف على قـدمي، لكن يدي كانتا مثبتتين على قمة الطاولة بالأصفاد الفولاذيـة. لـوح لي الرجـل بالبقـاء جالسـا وقـدم نفسه. كان رجلا سميكا ثقيلا، يرتدي ملابس جيدة ويرتدي قبعـة باهظـة الثمن. وقـال إنـه كـان مدير وكالة الأمن القومي الأميركية، أو وكالة الأمن القومي، وكـان مسـؤولا عن الحفـاظ على سلامة بلاده. قسمه كان قسم سري من وكالة الأمن القـومي الـتي أجـرت عمليـة الحجـز في الخارج وكان مسؤولا عن برنامج العمليات السوداء الفريدة.

تحدث الرجل بلكنة خفيفة .عتقدت أنها تبدو النمساوية. قال لي أن قلة من الناس في العـالم يعرفون أنه موجود ولكن يبدو أنه يعرف كل شيء عني. اسـمي، موقـع معسـكري، وحـتى انـه يعـرف عن عقيـد الكي جي بي السـابق أكـثر مـني. قـال لي إنـه يعـرف أنـني قتلت سياسـيا أمريكيا، وكنت على وشك اغتيال سياسي آخر. كنت أعـرف أن عقوبـة القتـل هي المـوت لـذا توسلت للرجل أن يجنبني حياتي. أقسمت له بكل صدق أنني أريد مغادرة المخيم منذ وصـولي إلى الولايات المتحدة. لم أرغب أبدا في قتل إنسـان آخـر، لكن عصـيان أوامـر العقيـد لم يكن خيارا. كان علي أن أفعل ما قيل لي.

استمع الرجل بحماس إلى توسلي، ثم فجأة تغير سلوكه. أمر أحد الحراس بفتح أصفادي وقال لي إنني حر في الذهاب. سيتأكد من أن الحكومة الأمريكية لم تكتشف أبدا أنني اغتلت السياسي .وقفت ولم اصدق. هل حصلت على فرصة أخرى في الحياة؟

قال لي: "هناك شرط واحد". "إن المنظمة التي تعمل فيها مدرجة في القائمة السوداء من قبل الحكومة الأمريكية والروسية لسنوات عديدة حتى الآن. لقد أبقيناك تحت المراقبة المستمرة منذ اليوم الذي هبطت فيه في الولايات المتحدة ونحن ندرك أن هناك العديد من العملاء النائمين السوفييت الذين تم تدريبهم في المخيم يشغلون حاليا مناصب رئيسية في حكومتنا. إذا ساعدتنا في إسقاط العقيد ومعسكره، سنمنحك الحصانة ونقدم لك بداية جديدة".

اتفقت بسهولة مع الرجل وعرضت مساعدتي. لم يكن هناك شيء أردته أكثر من إيقاف دورة القتل. لم أرد أن أكون قاتلا. أردت فقط أن أكون حرا .أخبرت ضابط الإستخبارات عن جهاز التعقب الذي زرع في عنقي من قبل مدير العمليات السوداء في وكالة الأمن القومي . وقال أنه يعرف عن ذلك أيضا . وأرادني أن أعود إلى مقر المعسكر في روسيا وأحصل على أسماء جميع العملاء الذين أرسلوهم إلى الخارج . سيكون اتصالي في موسكو بملازم أول عمل في المديرية التاسعة للكي جي بي. و اخبرني ان خمسة عشر ضابطا من فوج الكرملين سيراقبونني للتأكد من أن العقيد لا يشك بي بأي شكل من الأشكال.

وفي الوقت نفسه، صدرت لي تعليمات باتباع جميع تعليمات العقيد بالحرف الواحد، حتى لا اثير الشكوك. أومأت برأسي محاولا ادراك موقفي من هذا اليوم فصاعدا. كان علي أن أكون عميلا مزدوجا. خائن إذا تم القبض علي. يمكن أن أحاكم كجاسوس في روسيا وأدين بالخيانة، وهي جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

سيكون من الأفضل عدم التفكير في المعضلة التي كنت اواجهها.

لا تبدو حياتي كعميل مزدوج مختلفة جدا عن نمط الحياة السابقة التي اعتدت عليها. مايكل كان متفاجئا قليلا عندما طلبت العودة إلى المخيم . لم أقتل السياسيين، لكن رئيس قسم العمليات السوداء في وكالة الأمن القومي أعطى أخبارا كاذبة لوسائل الإعلام يسرب فيها أن الرجال الثلاثة الذين كانوا أهدافي قد ماتوا بالفعل. كان العقيد مسرورا بأدائي وترقيتي إلى رتبة عميل كبير. وقد أعطيت مسؤولية المجندين الجدد، فضلا عن تكليفي بمهام عديدة في باريس وبرلين ولندن.

كنت على اتصال دائم مع مدير العمليات السوداء في وكالة الأمن القومي .فقد أعطاني مهام دورية وذات صلة بالمعلومات التي أعطيتها للحكومة الأمريكية. وتمكنوا من القبض على العديد من العملاء الروس النائمين البارزين في نيويورك وواشنطن. أرسلني العقيد مرة أخرى إلى الولايات المتحدة للإشراف على عملية. ذهبت مباشرة إلى مكتب وكالة الأمن القومي وأخبرتهم بكل ما تعلمته أثناء وجودي في المخيم. يبدو أن العقيد كان متورطا في الكثير من الأنشطة غير القانونية وذلك كان واضحا من الأدلة التي أطلعني عليها مدير العمليات السرية لوكالة الأمن القومي.

لقد صدمت عندما علمت أن العقيد لم يكن في أي من قاعدة بيانات المخابرات السوفيتية لأنه تم التنصل منه من قبل حكومته وتم تجريده من لقبه وسلطته، ولكن هذا لم يمنع الرجل ذو الكفاءة العالية من زيادة أنشطته. أنشأ المخيم الذي جند فيه الشباب الروس المطمئنين ولكن الموهوبين مثلي وجعلهم يقومون بمزايداته. مدير العمليات السوداء في وكالة الأمن القومي أراني أدلة على أن العقيد تلقى تمويلا من تجار الأسلحة في أوروبا الشرقية وكان متورطا بنشاط في الإطاحة بالحكومات الديمقراطية في العديد من دول أمريكا الجنوبية. كما جعلني أنا ومجندين آخرين نقوم بعمليات اغتيال للعديد من القادة والسياسيين الأبرياء. وفي الوقت نفسه، كعميل قديم للمخيم، علمت أخيرا بما يحدث عندما يفشل المجند في عملية. يتم الغاؤه (تصفيته).و عندما يلغي العقيد شخص ما ، لا يسمح لهم بالخروج أو الاستقالة. يتم نقلهم على الفور إلى قبو تحت الأرض ، حيث يتم تنشيط رقاقة التتبع التي تم زرعها في قاعدة جمجمتهم.

رقاقة التتبع مطعمة بكمية صغيرة من المتفجرات الصناعية، وعندما تنفجر، تتبقى بقايا صغيرة من الرأس. يموت المجند على الفور. لقد وجدت هذه الممارسة قاسية لدرجة أنني حاولت وقفها. لكنني تذكرت أن وضعي كعميل مزدوج جعل الأمر صعبا جدا . مقاومة توجيهات العقيد قد تكشفني كخائن. وقد يتم الغائي (تصفيتي).

عندما عدت إلى أمريكا ،هذه المرة ، توسلت إلى مدير وكالة الأمن القومي لمساعدتي في إزالة رقاقة التتبع من الجزء الخلفي من عنقي. لقد وافق على أن يفحصني أفضل الجراحين . أخبرته بان الرقاقة مميتة ومحاولة إزالتها ستحذر العقيد أنني تعرضت للخطر.

خفف مدير وكالة الأمن القومي من مخاوفي ووضع يده على كتفي وقال بطريقة أبوية : "لا تقلق يا بني"، "سأحرص على أن يتم الاهتمام بكل شيء".

اغرورقت عيناي بالدموع عندما تحدث الي. لم يتحدث معي أحد بمثل هذا الدفء والشفقة ،خلال العشرين عاما من حياتي. لم يكن لدي أب. كان مأمور دار الأيتام يخاطب الأطفال بصرخات وشتائم شديده علي الأذن. لم أكن أعرف كيف هو الشعور بأن تعامل بلطف. لم يناديني أحد بابنه ابدا . قلل والدي من شأني وضربني حتى أصيب جسدي بكدمات مؤلمة. ذكرياتي الأخيرة عن والدي كانت وهو يحاول قتلي. لقد ضغط على الزناد و لولا تدخل أمي لما كنت أقف هنا اليوم . أمي العزيزة، المرأة الملائكية من الشيشان، التي افتقدتها بشدة كل يوم، استخدمت جسدها لحمايتي من الرصاصة التي كان من المفترض أن تكون هلاكي. عرفت حياتي الرعب فقط ،منذ ذلك اليوم.

هوت هذه الأفكار الي ذهني .كما تساءلت ما الذي تغير بشكل كبير في حظي حتى يكون لي شخص يهتم بي. هناك شخص ما دعاني ابنه! نظرت بعيدا قبل أن يرى مدير وكالة الأمن القومي دموع الفرح تنسكب من عيني. كان قلبي مملوءا بالامتنان لأنني كنت آمل بصمت أن يصبح شخصية الأب التي افتقدتها بشدة طوال حياتي.

ربما أدرك أنني كنت غارقا في العاطفة لذلك وضع ذراعه حول كتفي لفترة وجيزة قبل أن يأمرني بالعودة معه إلى منزله الزراعي في ريف فرجينيا.

قابلت في هذا المنزل في فرجينيا أجمل وارق امرأة شابة. رحبت بي صاحبه الجمال ذو الشعر الداكن في المنزل و كان اسمها إيرينا. في وقت لاحق من ذلك اليوم، علمت أنها كانت ابنة مدير وكالة الأمن القومي. تحدثنا لساعات عديدة في ذلك اليوم وقال والدها أخيرا أن الوقت قد حان بالنسبة لي للمغادرة. كنت أتطلع إلى المناسبة التالية التي يمكنني العودة إلى منزل المزرعة. في اجتماعاتنا المتتالية، أخبرتني إيرينا الكثير عن حياتها. كانت والدتها قد غادرت عندما كانت فتاة صغيرة، وكان والدها قد رباها بنفسه. كان ألطف رجل عرفته، وسرعان ما أرادت إيرينا أن تكون مثل والدها ووتعمل في وكالة إنفاذ القانون. وهكذا انضمت إلى وكالة المخابرات المركزية كعميلة ميدانية.

عاشت إيرينا، معظم أيام الأسبوع، في مزرعة والدها الفخمة. وجدت نفسي أقضي المزيد من الوقت في فرجينيا. كانت إيرينا تتطوع لمرافقتي في كل مرة كنت أرسل في مهمة لإنقاذ عميل مزدوج من القنصلية الروسية أو استرداد وثيقة حكومية مسروقة. شعرت بالحياة في رفقتها .كان منعشا أن يكون لديك حياة حيث لم تكن هناك أسرار. كانت تعرف عن أصولي وعرفت أيضا أنني كنت أحاول التحرر من حياتي السوفيتية السابقة التي أجبرت فيها على أن أصبح قاتل محترف لمقدم فاسد.

وقد أثمرت جهود ما يقرب من عامين من العمل السري لي، حيث بدأ معسكر العقيد بالتفكك. وشارك مسؤولون في مقر الكي جي بي في ساحة لوبيانكا بنشاط في تعقب شركاء العقيد وخلق هويات جديدة للمجندين الذين دربهم العقيد السابق وأجبرهم على العمل لصالحه. كانت عملية كبيرة، تتطلب تعاونا شاملا من وكالات الاستخبارات الأمريكية وكوميت غوسودارستفنوي بيزوسنوستي الذين كانوا حتى ذلك الحين مشغولين فقط في استئصال أنشطة الإصلاحيين المناهضين للسوفييت في بولندا والدول المجاورة الأخرى. تمكنت ،باستخدام الدعم من مدير وكالة الأمن القومي، من تحديد قاعدة عمل الرجل الذي جندني من السجن. وكان للعقيد معسكرات تشغيل داخل العديد من الجمهوريات الساتلية السوفياتية وكان يشارك باعمال في أنشطة مناهضة للسوفييت.

كان من حسن الحظ أن الحكومة السوفيتية أرادت تحييده بقدر ما أرادت الحكومة الأمريكية وكنت حريصا على تجريد مجرم من مكانته وتقديمه إلى العدالة. ولكن العودة إلى الوطن ليست دائما بسيطة في عالم التجسس، وأصبحت مسألة ما سيحدث لمئات المجندين والمتدربين الذين كانوا يعملون تحت قيادة العقيد نقطة محورية. حاولت يائسا تأمين العفو من الدولة لهم، وحاولت مناقشة إمكانية الهجرة. رفض مدير وكالة الأمن القومي، على الرغم من امتنانه لخدماتي، أي اقتراح لجلب عدة مئات من الجواسيس السوفييت ذوي المهارات العالية إلى البر الرئيسي للولايات المتحدة.

وبينما كنا نحدد كل قطاع من قطاعات برنامج العقيد ، عادت أفكاري بشكل متزايد إلى رفاقي الذين كانوا لا يزالون محاصرين في مركز التجسس والذين عملوا بجد، وعرضوا حياتهم للمخاطره - معتقدين أنهم يخدمون الاتحاد السوفياتي. أردت إنقاذ أولئك الرفاق الذين وقعوا في الفخ الذي كنت فيه، لكن لم يكن لدي أي طريقة لتحذيرهم. إذا نبهت المجندين أن العقيد السابق في الكي جي بي الذي قادهم كان يتصرف بذرائع كاذبة، فهذا سيجعله يركض إلى

التلال، ويـدمر أي فرصـة لمحاكمتـه. ومن ناحيـة أخـرى، كـان من الألم الجلـوس ومشـاهدة المجندين الجدد وهم يقومون بمهامهم اليومية، التي من الواضح أن الكثير منها غير قانوني.

عنـدما أعـربت وكالـة المخـابرات المركزيـة ووكالـة الأمن القـومي عن عـدم قـدرتهما على مسـاعدتي فيمـا يتعلـق برفـاقي الـروس، تحـدثت مـع معـالجي في كـوميت غوسودارسـفنوي بيزوسنوسـتي،و طلبت في مقابـل تعـاوني، منح المجنـدين المطمئـنين حصـانة من الملاحقـة القضائية. وبعد ما يقرب من شهر من المفاوضات، وافقت اللجنة على استيعاب المجندين في المخيم ولكن بشروط صارمة. وشعرت الحكومة أنه امر حساس للغايه أن يكـون هنـاك أفـراد مسـجونون سـابقا في شـوارع موسـكو، لا سـيما وأن معظم العملاء قـد لقـوا حتفهم رسـميا. وزعمت الكي جي بي أنها زودتهم بهويات جديدة وسمحت لهم بالانـدماج في المجتمـع كـأفراد جدد.

وفي الوقت نفسـه، واصـلت السـفر ذهابـا وإيابـا من موسـكو إلى فرجينيـا لتلقي المعلومـات والأوامر. وفي أحـد الأسـابيع الأخـيرة، عـدت إلى المخيم لوضـع متفجـرات موقوتـة في غرفـة الذخائر، بحيث يكون نظام الأسلحة بأكمله معطلا في حالة الغارة. ومع ذلك، بينمـا كنت أجهـز الجهاز، اعترضني مجند حشرني على الفورفي جـانب الغرفـه وسـحب مسدسـه وأخـذني إلى زنزانة الاحتجاز.

وقد أبلغ العقيد بذلك وجاء شخصيا لاستجوابي. أنكرت أنني كنت أزرع قنابل. قلت للعقيد إنني وجدته فقط وكنت أحاول نزع سلاحه عندما لاحظني المجند. العقيد شكك في كلمـاتي. أعتقـد أن السبب في ذلك هو أن العديد من الأهداف التي خصصـها لي مـاتت مـؤخرا بشـكل مـريب، وفي أكثر من مناسبة، شوهدت في اليوم التالي لقتلي المفترض لهم. كـان مـدير وكالـة الأمن القومي هو الذي رتب لمثل هذه المسرحيات.

كنت أنقـل المعلومـات إلى وكالـة الأمن القـومي في كـل مـرة اسـتلم فيهـا اسـم هـدف محدداغتياله من العقيد. ثم استخدم المدير رجاله الذين اختارهم لـيزيفوا وفـاتهم حـتى يصـدق العقيد أنني قمت بعملي بشكل صحيح. الآن، بينمـا كنت مسـتلقي في الغرفـة الرماديـة، وهـو مصطلح استخدمناه في المخيم كغرفة تعذيب، تساءلت عما سيحدث لي. وأحضر العقيد اثـنين من المحققين ومعهم حقائب مليئة بالإبر وكماشة. كان هناك ما لا يقل عن ستة سوائل ملونـة مختلفة. لم أكن أعرف ما الذي سوف تفعله السؤال الملونة لجسدي، و أنا بالتأكيد لا أريـد أن أعرف.

قام المحقق الكبير بحقني بسائل أصفر لامع. لقد تعرفت عليه كمخفف للألم وقد صـمم لمنـع السـجين من وفاتـه من شـده الألم عنـدما يتعـرض للتعـذيب الشـديد. لم أرد أن أفكـر فيمـا سيحدث بعد ذلك .قام المحقق الثاني باخذ الـه من الحقيبـة ووضـعها بلا كلمـات فـوق إصـبعي وانتزع فجأة مسمار كان ثبت بإبهـامي الأيمن. لا أتـذكر الصـراخ منـذ طفولـتي، ولكن في هـذا اليوم، صـرخت من الألم بصـوت عـال لدرجـة أن حلقي أصـبح منتشـيا ومؤلمـا. احـترقت كـل الأعصاب في جسدي من الألم وكان دماغي مخدرا لمعالجة المشاعر الصاخبة التي كنت أشعر بها.

تحدث معذبي فيما بينهم وجلبوا حقيبه معدنية أخرى مليئة بأدوات التعذيب. ومع ارتفاع ذعري، أغلقت عيني بإحكام قدر الإمكان لمنع الدموع من الانسكاب على خدي. كنت أعرف في غضون ساعات قليلةانني سوف اكون ميتا، ومقطع إلى مئات القطع ، موته اقل مايوصف عنها انها موته في العذاب والعار. فكرة الموت في هذه اللحظة المفاجئة جعلت بشرتي باردة.

سوف أنسى إيرينا ولن تعرف أبدا ما حدث لي. فتحت عيني ونظرت إلى أصابعي الملطخة بالدماء التي تم سلخها بالمشرط. كان دمي يقطر بثبات، ينقع أرضية الجرانيت. أردت أن أعيش حتى أتمكن من رؤية إيرينا للمرة الأخيرة، وأحملها بين ذراعي. كان عندي الإرادة للبقاء على قيد الحياة اثناء هذا الوقت الرهيب من خلال التفكير في ابتسامتها الساحرة ووجهها الجميل. استمرت الدموع تنهمر على وجهي وأنا أذكرنفسي بحبي لإيرينا. لقد كانت ملاكا براقا .لم أعتقد أن أحدا في العالم كان مثاليا مثل (إيرينا). كانت إيرينا أجمل امرأة ، محبة وحنونة . كان لي الحظ في التعرف عليها، وكان نكران الذات المستمر لها هو ما جذبني إليها. لم تفكر في نفسها أبدا، وتبحث دائما عن فرص لإعطاء حياتها وثروتها للناس. كرمها أبهرني أكثر من اي شئ.

كنت منبهرا عندما رأيت كيف باعت شقتها لدفع الفواتير الطبية لأحد أصدقائها. في هذه الحاله كان عليها أن تنتقل للعيش معي لأنه لم يكن لديها مكان آخر للعيش فيه. إيرينا كانت ذلك النوع من الأشخاص الذين سيتخلون بسعادة عن ثروتهم لمساعدة اي شخص آخر محتاج . كانت تخلع المعطف عن ظهرها وتتبرع به للمشرد بجانبها. كان من الواضح أنه بمجرد أن يتعرف اي شخص على إيرينا، فإنه لا يمكن أن يتوقف عن حبها. لم أكن مختلفا . ولكن كانت هي مثال للجمال والكمال.

إيرينا كانت عائلتي ،كانت أملي والضوء في قلبي. قلت لنفسي مرارا وتكرارا كان علي النجاة من هذا التعذيب حتى أتمكن من احتضانها مرة أخرى . لم أستطع أن أصبح ضحية قدري.

وشرع المحققون في التعامل مع الإصبع الثاني ولكن أدى طرق الباب إلى تشتيت انتباههم. كان اثنان من حراس معسكر بورلي يجران المجند الجديد داخل غرفة التعذيب. كان يصارع بضراوة ويصرخ بأنه بريء. تحدث الحراس لفترة وجيزة إلى المحقق. الرجل الذي سحب الظفر للتو من إبهامي سارالي وأزال السلاسل المعدنية من حول معصمي وقال لي أن هناك خطأ، واعتذر العقيد للاشتباه في. نهضت بعصبية من النقالة التي كنت أتعرض فيها للتعذيب من لحظات وتحركت بعصبية، ممسكا بيدي المشوهة المصابة بكدمات. ارتعشت ركبتاي وفي اللحظة التي أغلقت فيها الأبواب الفولاذية خلفي، ارتجفت بشكل لا يمكن السيطرة عليه وذابت عيناي في البكاء. لقد اختنقت بالمشاعر العارمه - الألم والخوف الذان مررت بهما. وكان الارتياح للخروج من غرفة التعذيب شئ جيد بالنسبة لي، لكنني كافحت للحفاظ على رباطة جأشي بينما كان أفراد الأمن يمرون بي في الممر.

قيل لي إن مركز الأمن السيبراني في المخيم تلقى للتو رسالة تفيد بأن المجند الذي أسرني هو في الواقع الجاسوس وكان يزرع متفجرات في المنشأة. كان هناك دليل ورقي يظهر أنه اشترى تلك الأجهزة . لقد كنت مذهولا . الحقيقة هي أنني انا العميل المزدوج. انا كنت مصمما

على تدمير المخيم مـرة واحـدة من أجـل الجميـع. لم يكن لـدي أي فكـرة لمـاذا يعتقـدون أن المجند الشاب هو الجاسوس. قبل أن أتمكن من الاحتجاج أو إعلان ذنبي، كنت أقـاد بعيـدا إلى مكتب العقيد. في نهاية الممر، عندما أغلـق البـاب، سـمعت صـرخة المجنـد الـتي تتخـثر دمـا. يتعـرض الآن للتعـذيب كمـا كنت قبـل لحظـات. محـاولا كبح الـدموع الـتي ملأت عيـني، قمت بالسيطره على المنديل بإحكام حول أصابعي ، وتعهدت بهدم الغرفه الملعونة في هـذا المخيم إلى الأبد.

استقبلني الكولونيل بحرارة واعتذر بشده عن الاشتباه في أنـني جاسـوس. لقـد حصـلت على ترقية أخرى وعدت إلى الولايات المتحدة.

رحب بي شخصيا هذه المرة مدير وكالة الأمن القومي. كنت سـعيدا بعـودتي للمـنزل، أو على الأقل هذا ما ظننت حيث أنه منزله هو. ابنته (إيرينا) كانت شخصيه محبوبه ولقد أردت العيش من أجلها. شعرت وكأنني أنتمي.

كلفني العقيد بمهمة أخرى في ألوكسن، وهي بلدة تقـع في شـمال شـرق لاتفيـا بـالقرب من حدود إستونيا وروسيا. ويقع مصنع كيميائي صناعي في تلك المنطقة الجبلية. ويعتقد العقيد أن عدة منظمات إجرامية منظمة تحاول صنع أسلحة كيميائية واستخدامها لتقويض سلطته. أمرت باستعادة عينات من المختبر الرئيسي وتدمير المنشأة. وفقا للوائح، أخطرت على الفور معالج بلدي في ديفياتكـا الكي جي بي من موقـع الهجـوم. وبمـا أن المديريـة التاسـعة وفـرت الأمن للكرملين وغيرها من المرافق الحكوميـة الرئيسـية في جميـع أنحـاء الاتحـاد السـوفياتي، فقـد وعدوا بإرسال عملاء سوفيات إلى المختبر من أجل البقاء متقدمين بخطوة واحدة على خطط العقيد والاستيلاء على المواد الكيميائية من المجرمين.

في يوم العملية، رافقت عميلا كبيرا من المخيم. كان هدفنا جمع عينات من المختبر الكيميـائي وتدمير المنشـأة. عـرض شـريكي وضـع رسـوم هـدم داخـل المبـنى الرئيسـي بينمـا بقيت في الداخل وتركت عمليه إضافية لعملاء الكي جي بي الذين كان من المقرر أن يصلوا. استخدمت حقنة واستخرجت المحلول من الأنابيب وحصلت علي العينات قبل توقف مولد الطاقة. ووضـع شريكي متفجرات تفجير دقيقة على الأسلاك الكهربائية التي صـممت لتفعيلهـا عن بعـد. قمت بسرعة بإزالة سلك الإرسال ودمرت البطاريـة والان عنـدما يحـاول شـريكي تفجـير المنشـاه، فإنها لن تنفجر.

هرعت إلى مكان الالتقاء ووجدت شريكي ينتظر هناك. لقد كان منزعجـا قليلا بسـبب تـأخيري كثيرا في المصنع .لقد تمتمت بعذر غـامض، لكنـه لم يكن يسـتمع الي. أزال جهـازا صـغيرا من جيبه وضغط على الزر الأحمر. لم يحدث شيئًا.

كان حائرا ويحدق بي في حيرة. "المفجر لا يعمل!"

"ربما لم يتم توصيل الاسلاك بشكل صحيح"، اقترحت، في محاولة مني لاظهرالاندهاش.

هز شريكي رأسه بقوة واصر قائلا "يمكنني أن أقسم أنني فعلت ذلك تماما".

" سأعود إلى هناك وأصلحها"، عرضت عليه ، لكنه أمسك ذراعي وسحبني إلى الأرض.

"لا حاجة. لدي مفجر ثانوي في حال فشل أول واحد".

"ماذا؟" لم أصدق أذني.

وأوضح قائلا: "وضعت مجموعة أخرى من المتفجرات على المحيط، وينبغي أن تعمل بنفس الكفاءة لهدم المبنى بأكمله".

انقبض قلبي بشكل مؤلم وأردت أن أصرخ وأتوسل إليه ألا يضغط على الزر، لكنني لم أتمكن من القيام بذلك . فتحت فمي ولكن لم يصدر أي صوت. ضغط شريكي على زر كبير ورأيت الجحيم أمامي. انهار أمام عيني مصنع المواد الكيميائية. وعملاء الكي جي بي كانوا بالداخل و على وشك مواجهة هلاكهم.

أردت العودة إلى المصنع وإنقاذ عملاء الكي جي بي الخمسة الذين حوصروا في الجحيم ولكن شريكي حثني على مغادرة المنطقة المجاورة في وقت واحد. لم يكن هناك اي طريقة لإنقاذهم دون إثارة شكوك الفريق.

كنت أقاتل ضد القدر .

جعلت النار الهائلة الأرض ترتجف، حيث حجبت سحب الدخان الهائلة رؤيتنا ، مما جعل هذه الخطوة محفوفة بالمخاطر بشكل مضاعف. ألقيت نظرة على الوراء ورأيت رجال الإطفاء يكافحون لإخماد النيران البرتقالية. لا يمكن لأي بشر أن ينجو من ذلك الانفجار. استخدمت أنا وشريكي أوراق هويتنا المزورة لعبور المنطقة الحدودية عبر الزستافي وعادنا إلى المخيم. كان العقيد مسرورا بنجاحنا وأخذ العينات التي استعدناها.

بعد أسبوعين من المهمة، كتبت تقريراالي معالج الكي جي بي عندما علمت بحجم الضرر الذي وقع في مصنع المواد الكيميائية في ألوكن. وقد لقى جميع ضباط الكي جى بى الخمسة مصرعهم على الفور فى الانفجار . وقد أعيدت رفاتهم إلى موسكو لحضور جنازة رسمية. رفعت رأسي مذهولا، ، ممسكا بحزني ودموعي في الداخل، محاولا البقاء قويا. حفل تأبين الولاية كان بعد يومين. كتبت ملاحظة ذهنية لحضور القداس والتعبير عن ندمي لفقد الرجال الشجعان الذين ضحوا بحياتهم من أجل الوطن الأم.

تابعت موكب الجنازة، و كانت النساء يمسكن بأطفالهن بالقرب من أجسادهن و هم يبكون بشده. أمهات وزوجات عملاء الكي جي بي الذين سقطوا كانوا هنا . وقفت بصمت، وانا أشهد الخسائر التي فشلت في منعها. وحمل العلم رجال يرتدون الزي الرسمي عندما بدأ ملحن عسكري روسي في الغناء. كانت الملاحظات عميقة ومؤلمة.

كنت أحنى رأسي لإخفاء الدموع التي هددت بالتسرب من عيني. نقرة خفيفة على ساقي جعلتني أنتقل. أرادت فتاة صغيرة أن تعطيني حيوانها المحنط .نظرت إلى الوجه الصغير وتعرفت عليها. كانت ابنة أحد العملاء الروس المتوفين الذين لقوا حتفهم في ذلك الانفجار الرهيب. وكان مسؤول الاتصال من مديرية قوات الحدود في الكي جي بي وتطوع لهذا

المنصب. الآن ذهب، حـرق في الانفجـار العـنيف الـذي دمـر مصـنع المـواد الكيميائيـة. هـززت رأسي لمسح صورة المصنع المحترق من ذهني.

وقالت الفتـاة بعض الكلمـات و هي تمـد ذراعهـا و في يـدها لعبـه متوسـله لي بعـدم البكـاء. تأثرت بشده ، و سارعت بعيدا عن الأنظار، ومشيت بسرعة، في محاولة مـني لخلـق مسـافة أكبر قدر الامكـان بيـني وبين الجنـازة. وبمجـرد وصـولي إلى الطريـق الرئيسـي، انهـرت على الأرض ووتنهدت بشده. كان من الصعب جدا أن اكون جاسوسا وإنسانا في نفس الوقت.

أدركت أنني لست أكثر من فتى خائف يختبئ وراء قناع جاسـوس. ارتجفت من الخجـل وخيبـة الأمل. لم يكن لدى الفتاة الصـغيرة أي فكـرة عن وفـاة والـدها بسـبب خطـأي. كـان يجب أن أتحقق من وجود صاعق ثانوي. كـان يجب أن أعطـل القنبلـة بشـكل أكـثر كفـاءة. خمسـة من عملاء الكي جي بي المجتهدين لقوا حتفهم بسببي. خمس عـائلات جميلـة تحطمت ، وأراملهم بلا حول ولا قوة ، وأطفالهم أيتام. لقد أصبت بالحزن لدرجة أنني فكرت بجدية في التخلي عن الحياة المزدوجة والتخلي عن عالم التجسس تمامًا. لكن ريتشارد رفض سماع ذلك. أصر على أنني كنت أملهم الوحيد في إسـقاط العقيـد. كنت أحـد كبـار العملاء الموثـوق بهم في القطـاع وكنت مطلعاً على أعمق أسرار المخيم. إذا لم أساعد وكالة المخـابرات المركزيـة و KGB في إغلاق المعسكر بشكل دائم ، فإن مئـات العملاء الجيـدين سيسـتمرون في المـوت. كـان علي المثابرة في واجبي.

اسـتغرق الأمـر سـتة أشـهر أخـرى للمعسـكر لتتم ابادتـه إبـادة كاملـه. و نجحت في تجنيـد أحـدالعاملين ك هاكرعنـد العقيـد وجلبتـه معي. اكتشـفنا أن المعسـكر كـان لديـه خلايـا اقمـار صناعيه في ثلاثين مدينة في جميع أنحاء العالم . كشـفناها واحـده تلـو الآخـرى، وقمنـا بقطـع ذراع الوحش حتى أخيرا، داهمت القاعدة في روسيا القـوات الأمريكيـة والروسـية المتمركـزة في موسكو.و من المؤسف ان الشخص الوحيد الذي لم نتمكن من التقاطه هو العقيد، العقل المدبر لجميع المرتزقة. كان قد تمكن من الفرارفي فوضى الغارة.

لم ادع ذلك الامـر يزعجـني. ففي نهايـه الصـفقة ، وفى مـدير NSA بوعـوده واصـبحت حـرا أخيرا. كانت سعادتي بلا حدود عندما رأيت المنظمة الإجرامية التي اختطفتني من السجن قـد ولت. تم ازاله العلم السوفيتي من الكرملين. بعد أشهر، توقفت KGB رسميا عن الوجـود وتم استبدالها بخدمة مكافحة الاتصالات الفيدرالية.

وأعرب المدير الجديـد ل FSK، أو(Federalnaya Sluzhba Kontrrazvedk) فيـديرالنايا سلوزبا كونترازفيدكي عن سروره الكبير بخدمتي وعرض علي العمل لدى الحكومـة الروسـية، لكنني أردت أن أترك الحياة المزدوجة وأبدأ من جديد. وبالعودة إلى الولايـات المتحـدة، تلقيت أوراق هويـة جديـدة وسـمح لي بالسـفر إلى أي جـزء من العـالم. ظننت أن هـذا هـو الـوقت المناسب لأطلب من (إيرينا) أن تنتقل من منزل والدها وتعيش معي في شقتي .

كانت إيرينا سعيده وكانت حريصة على الانتقال للعيش معي. ومع ذلـك، طلبت الحصـول على مباركه والدها الذي كان قريبا جدا منها والذي سوف يفتقدها جدا اذ ابتعدت عنـه. أسـتطيع أن

أرى أن الاثنين كانا مقربين جدا لبعضهما.وهذا الامر جعلني أكثر سعادة. كنت أحب أن يكون هو لي بمثابه اسرتي ، فهو رجل قدم لي فرصة أخرى في الحياة عندما كنت عميلا نائما متشردا من الاتحاد السوفيتي.

قام والد إيرينا باستجوابي حول خططي وأعمالي المستقبلية، وأخيرا قال إذا قمت بعدد قليل من المهمات له ومساعدته في عبء عمله والعديد من قضايا وكالة الاستخبارات المركزية، فسيكون قادرا على ضمان أن ابنته ستكون آمنة معي. مهمتي في وكالة الإستخبارات ستكون رسميا انتهت. أنا و (إيرينا) يمكن أن نبدأ من جديد.

في الأسبوع التالي، تلقيت التفاصيل الكاملة لمهمتي. حيث يتم استخدام مصنع للمواد الكيميائية في روسيا كمركز لتخصيب اليورانيوم بصورة غير قانونية. وهناك جماعة إرهابية في البلقان استولت على شحنة من الأسلحة من البحرية الأمريكية وقامت بتخزين أسلحتها المسروقة في المصنع. مهمتي كانت استعادة البضائع المسروقة وإعادتها مباشرة إلى مدير وكالة الأمن القومي .هذه العملية لم تكن مرخصة من قبل وكالة المخابرات المركزية. وبسبب علاقة أمريكا الحساسة مع الحكومة الروسية، كانت الحكومة الأمريكية مترددة في إرسال عميل أمريكي لإكمال هذه المهمة.

كنت متخوفا قليلا من المهمة ، والسبب في ذلك انها أقلقتني لكوني في روسيا مرة أخرى؛ مكان قاتلت بشدة لأغادره. كنت أخشى أن ماضي سيلحق بي . ربما يكون المعسكر قد هلك لكن العقيد كان لا يزال طليقا والآن، من المؤكد أنه يعرف أنني العميل المزدوج الذي دمر عمل حياته. لكن (إيرينا) كانت ستكون خطيبتي قريبا ولم أرد أن أخيب أمل والدها .ربما، إذا رأى والدها كم أحببتها وكم كنت مخلصا له كحماي المستقبلي، سيكون مسرورا لرؤية ابنته معي. مع أفكار مفعمة بالأمل حول المستقبل، قررت القيام بالمهمة النهائية له.

وضعت إحداثيات المصنع الكيميائي وحددت المكان في غضون ساعات قليلة بعد الهبوط في روسيا. قمت بمسح المنطقة ودخلت المصنع باستخدام المهارات التي تعلمتها في المخيم . لم يكن هناك أحد بالداخل و كان فارغا. انطلقت للبحث في كل ركن من أركان المصنع على أمل تحديد موقع السوق المسروقة بسرعة وإعادتها إلى والد إيرينا . حيث ان ذلك سيساعدني على أن أدخل في نعمه الجيدة . بحثت عبثا عن أي مواد لتخصيب اليورانيوم ولكن لم يكن هناك اي شيء هناك. كانت فكرتي الوحيدة في هذه اللحظه أن مدير وكالة الأمن القومي أعطاني عن غير قصد إحداثيات خاطئة أو أنه حصل على معلومات خاطئة من مصادره.

وعندما أدركت أنني قضيت الكثير من الوقت في منطقة عسكرية روسية محظورة وأن هذا الموقع لا طائل منه، تعجلت بالمضي قدما في استراتيجية الخروج المخطط لها مسبقا. تراجعت إلى الجزء الخلفي من مصنع المواد الكيميائية وتوجهت إلى سيارة الهروب ولكن اختفت السيارة التي كنت قد أوقفتها في وقت سابق خلف المبنى. كنت مرتبكا ولكن لا أريد التسكع في منطقه محظورة حيث خطر القاء القبض علي سيكون كبيرا. انطلقت سيرا على الأقدام. كانت ليلة باردة وبالكاد وصلت إلى الطريق السريع قبل أن تحيط بي أضواء سيارة الشرطة المسببة للعمى. ما حدث بعد ذلك كان ضبابيا .تم حبسي في شاحنة شرطة ونقلي إلى محطة كئيبة حيث اخذت بصمات أصابعي. في غضون ساعات، وصل العديد من الرجال

في ثياب مدنية وأعطوني جرعه من سائل شفاف. وفقدت الوعي .عندما استيقظت، كنت في غرفة حجرية، تقريبا مثل المناطق الداخلية من كهف قديم. تخميني هو أنني أخذت إلى أحد مواقع السجن السرية أسفل جبال الأورال.

لم يكن لدي وقت طويل للتفكير في موقعي. فقد استدعى الحارس رئيسه عندما رأى أنني عدت الي وعي. وكان رجل يرتدي زي الطبيب . سألته إن كان طبيب السجن، ضحك على سؤالي وقال إنه معروف في هذا السجن بأنه طبيب العظام. واجهت جلستي الأولى في ذلك اليوم، مع هذا الرجل المخيف. كان هذا أكثر استجواب وحشي واجهته حتى يومنا هذا. الأسئلة التي ظل يطرحها كانت متطابقة. لمن عملت وماذا كنت أفعل في مصنع المواد الكيميائية؟ كنت قد تدربت على تحمل التعذيب ،عندما كنت مجندا في المخيم، وتقديم معلومات كاذبة للمحققين. ومع ذلك ، جلساتي مع طبيب العظام أصبحت مروعه جدا. كان الألم المبرح الذي أجبرت على الخضوع له لا يطاق . ولكن الغضب والأدرينالين أبقياني عاقلا. لكن ليس لفترة طويلة. فقد تملك اليأس من ذهني وبدأت أبكي بشده في كل مرة يفتح فيها الباب المعدني ، معلنا عوده الجلاد لجسدي المصاب بكدمات.

وبحلول اليوم الثالث، كان قد قام بتحجيم وكسر عدة سنتيمترات من العظام من ذراعي وساقي جراحيا. وقد تم ذلك مع مجموعة من الازميل والمشرط دون أي نوع من التخدير. كانت دموعي المتواصلة قد تركت آثار مرورها على وجهي الشاحب ولكن لم يكن هناك أرجاء تنفيذ الحكم؛ او إعفاء من الألم والتشويه. تعهد المحقق بمواصلة تجاربه على عظم جسدي حتى أصبحت هشة للغاية. أخبرني طبيب العظام أن أطول مدة يمكن أن يتحملها السجين من هذا التعذيب هي عشرة أيام. لقد عصفت بذهني لأتذكر كم من الوقت كنت في السجن الشبيه بالكهف. كان يومي السادس وكنت أشعر بالخوف الشديد لساعات، كانت عيناي المحمومتان تنظران دوما إلى الباب المعدني الذي يفصلني عن الجلادين، على استعداد لفتحه وتحريري.

لن يكون هناك مساعدة خارجية لي .

لم يعلم أحد أنني هنا.

حتي انني لم اذكر رحلتي إلي إيرينا. كانت تتساءل لماذا لم أعد للمنزل؟ الشخص الوحيد في العالم الذي كان على علم بأنني ذهبت إلى روسيا ، كان صاحب العمل، مدير وكالة الأمن القومي. ولكن حتى هو لن يعرف إلى أين تم نقلي أو من أسرني. تمنيت فقط أن يكون هناك أمل ضئيل أو فرصة للهروب. حلمت بالتسلل بعيدا من خلال الشقوق على الحائط أو بين قضبان السجن. لم أنتظر أحدا. المساعدة لم تكن قادمة.

بدأت الجلسة السابعة مع طبيب العظام في وقت سابق من ذلك اليوم. تم سحبي من زنزانتي. في هذه المرحلة، كنت قد أصبحت ضعيفا لدرجة أنني لا يمكنني المشي دون مساعدة. كنت أعاني من الإرهاق وسوء التغذيه. اضطر الحراس إلى حمل جسدي الأعرج إلى غرفة التعذيب وتعليقي من ذراعي فوق عمود معدني. طبيب العظام لم يكن في الغرفة بعد. وبعد بضع دقائق، اهتزت البوابة المعدنية. كان هناك تفتيش. وبينما كان الحراس يستديرون لفتح البوابة والسماح للجلاد بالدخول، شعرت بالارتعاش في السقف بأكمله. ثم شعرت الأرض تهتز تحت قدمي. لقد تعرفت على الصوت لقد كان من متفجرات محلية الصنع.

شخص ما وضع قنبلة في الأعلى وتسبب ذلك في انهيار السقف فوق رأسي وايضا في تفكك السلاسل من ذراعي.

يداي كانتا حرتين!

لقد وازنت نفسي وشققت طريقي نحو المخرج الوحيد في الغرفة. وكان الحراس قد فروا خوفا من انهيار السقف الحجرى. ركضت بشكل أعمى في الأنقاض التي ملأت طريق الخروج ووجدت جزءا من السقف انهار فوقي. وكان الحطام لا يزال يسقط بكثافة إلى القاعدة. سمعت صوت دوار طائرة هليكوبتر. لقد كان إنقاذا! كان السقف مرتفعا جدا لذا انتظرت مروحية الإنقاذ لإسقاط حبل سميك. حريتي كانت قريبة جدا عندما نزل الحبل، تمسكت به من كل قلبي. انتزعتني عدة أيدي(ترتدي قفازات) إلى المروحية وأمنتني إلى أحد المقاعد. شعرت بشخص يثبت إبرة وريدية بين ذراعي . غرقت في سبات متقطع حيث انني كنت نصف مذهول من الإرهاق. سمعت همسات من مؤخرة المروحية بلغه ما و معرفتي الأساسية ب(الالمانيه) أخبرتني أن من انقذني كانوا على الأرجح ألمان.

لقد تم إنقاذي.

عند عودتي إلى الولايات المتحدة، علمت بما حدث. صديقي القرصان، داستن، الذي كان قد ترك المخيم معي بعد أن علم كل شيء عن أنشطة العقيد غير المشروعة كان قلقا عندما سمع أنني قد اختفيت. (داستن) اخترق الأقمار الصناعية العالمية وتتبع موقعي إلى هذه المنطقة النائية من روسيا. استغرق الأمر منه أسبوعا آخر لتجنيد فريق من القوات الخاصة الألمانية السابقة لإنقاذي. كان عليهم تحديد موقعي الدقيق وتنفيذ عملية اقتحام السجن في وقت قياسي. ومع ذلك ، كنت أكثر قلقا بشأن تسرب المعلومات. كيف عرف الرجال الذين أسروني أين يجدوني؟ من أخبرهم أنني سأجري غارة خفية في مصنع كيميائي روسي بعيد؟ الإجابة على هذه الأسئلة لم تكن معروفة حتى لداستن.

قررت أن أتخلى عن هذه الأفكار الغير سارة وذهبت لمقابلة (إيرينا). لقد كانت متفاجئة حقا لرؤيتي .ظنت أنني تركتها بشكل دائم. لقد صدمت لسماع ذلك وأكدت لها أنني مصمم على قضاء كل لحظة من حياتي معها. واعترفت إيرينا في وقت لاحق بأنها عندما أعربت عن قلقها بشأن غيابي لمدة أسبوع كامل، اقترح عليها والدها أنني ربما تخليت عنها بسبب الخوف من فكرة الالتزام بعلاقة بدوام كامل.

كنت محبطا قليلا لسماع ذلك. لم يكن لدي أي فكرة قبل هذا أن مدير وكالة الأمن القومي قد رفضني كخاطب لابنته. ومع ذلك ، إذا كان يدرك فقط كم كنت أحب إيرينا ، وكيف أردت يائسا ان اجعل ابنته سعيدة و ان اكون إلى جانبها إلى الأبد ، ربما بعد ذلك يغيرموقفه تجاهي. قابلته أخيرا من أجل الاجابه علي أسئلته . لقد بدا مصدوما حقا عندما سمع عن محنتي فهو أيضا لم يكن لديه أي فكرة كيف علمت وكالات التجسس الروسية عن وصولي ووعدت بإجراء تحقيق داخلي من أجل الكشف عن التسريب. كنت راضيا وأقنعت إيرينا بالانتقال للعيش معي. الألم المضني الذي تحملته في السجن السري السوفيتي لا يزال يطاردني لكنني كنت راضيا لأنني ساعيش مع المرأة التي أحببتها.

بعد عدة أشهر، اتصل بي مدير وكالة الأمن القومي مرة أخرى. اعتـذر بغـزارة قبـل أن يطلب معروفا آخر. كان علي القيام بمهمة أخيرة له. هذه المرة كان في الصين. اضطررت للتسـلل إلى شركة أمنية في وسط الصين ومعرفة ما يعرفونـه عن نظـام إطلاق الصـواريخ الأمريكيـة. لقد وعدني بأنها ستكون علاقة نظيفـة. سـأكون داخـل وخـارج البلاد في غضـون خمسـة أيـام. وكلف ضابط آخر في وكالة المخابرات المركزيـة لمرافقـتي في هـذه الرحلـة بسـبب الفشـل الذريع الذي حدث في روسيا. سيكون لدي خطة احتياطية في حالـه إذا حـدث أي شـيء غـير مخطط فيه.

لقد وافقت على مضض لأنها كانت عملية محفوفة بالمخاطر. لكنني كنت آمل أن أنفـذ أمنياتـه من أجل إيرينا. هذه المـرة، أخبرتهـا إلى أين أنـا ذاهب ولمـاذا أراد والـدها مـني أن أذهب إلى الصين. أخبرتها أيضا إذا لم أعد في أسبوع واحد عليها تنبيـه الحكومـة الفيدراليـة أو القنصـلية الأمريكية في روسيا . لقد كان وداع دامع.

وسافرت إلى بكين مع شريكي الجديد جاك. كان محاربا قـديما في القـوات الجويـة الأمريكيـة في سن التاسعة وكلف بنقلنا إلى البلاد. ناور جاك بخبرة فوق المجال الجوي المحظور للصين وأمرني بالخروج بالمظلات من الطائرة فوق المنطقة المستهدفة بينما كان ينتقل إلى مساحة هبوط آمنة. قال أنه سينضم إلى موقعي في غضـون سـاعتين. أمسـكت مظلـتي وقفـزت من الطائرة الصغيرة. كانت الليلة متجمده وكنت أشعر بـالغيوم الـتي تغلفـني من كـل اتجـاه وهي تخنق رئتي. سحبت قناع الأكسجين فوق رأسي واستنشقته ولكن لم يكن هناك اي هواء فيـه. أدركت مرعوبا أن القناع كان معيبا.

خزان الأكسجين كان فارغا! كنت متأكدا من أنه كان جيدا تماما .لأنني قمت بإعادة تعبئته قبل الصعود إلى الطائرة. لابد أن هناك تسرب في الخزان تسـبب في هـروب كـل الهـواء. حـاولت التنفس وإطالة أمد السقوط الحر طالما أستطيع حتى أتمكن من الوصول إلى الأرض بسرعة. سحبت سلسلة المظلة مع أقل من ميل للوصول على الأرض، وادي ذلك الي تباطؤ هبـوطي. كانت رقعة الأرض العشبية التي هبطت عليها رطبة مع أمطار اليـوم السـابق. جمعت تروسـي وارتفعت إلى المنطقة المستهدفة. المجمع الأمني الذي أمرت بالتسـلل إليـه كـان مبـنى تحت الأرض، بحوالي أحد عشر طابقا في عمق الأرض. طابق واحد فقط كان فوق الطابق الأرضي. الهيكل التكعيبي لم يكن له نافذة. كانت الجدران مطلية باللون الأسـود. كـان الظلام مشـؤوما لدرجة أنه تألق حتى في الليل الخالي من القمر.

لقد اقتربت أكثر ولم تكن هناك حواجز أمنية واضحة. هـل يجب أن أنتظـر جـاك أم لا؟ تسـابق السؤال عدة مرات من خلال رأسي حتى قررت المضـي قـدما. سـيكون من الأسـهل التسـلل إلى المبنى تحت غطاء الليـل. جـاك ربمـا لا يعـرف حـتى مـوقعي الـدقيق . قـد يكـون تعـرض للخطر. لقد وضـعت جهـاز تـوقيت لمـدة ثلاثين دقيقـة وانتظـرت. لـو لم يكن قريبـا خلال هـذا الوقت لفترضت الأسوأ وتوجهت إلى منشأة الأمن الصينية.

كانت البوابات الرئيسية غير مقفلة. تسابقت بلا ضجيج عبر الفناء الأمـامي وتـوقفت عنـد بـاب االمبنى. ولضمان عدم وجود أفـراد عـدائيين في الـداخل، قمت وألقيت إحـدى قنـابلي الغازيـة عبر الأبواب. الردهة كـانت فارغـة. انتقلت إلى المصـعد وضـغطت على السـهم السـفلي. فتح

زوج من الباب الزجاجي، مما كشف عن مساحة دائرية. كان المصعد على أحدث تصميم. دخلت المصعد وضغطت على أدنى رقم من المستوى الفرعي الذي كان متاحا. انزلقت الأبواب الزجاجية بصمت وبدا أن المحرك يدور فوقها. شعرت فجأة بالدوار الشديد. أغلقت عيناي وتكومت على الأرض.

استيقظت لأجد نفسي مربوط إلى كرسي معدني. كل ألياف ملابسي كانت مقطوعة عن جسدي . كنت أشعر بالبرد كنت مرعوب من المجهول .لا شيء جيد يمكن توقع حدوثه هنا. العديد من الرجال الصينيين كانوا يحيطون بي و يحدقون في وجهي مع عيون فارغة ووجهوه بلا تعبير. توسلت إليهم أن يتركوني أذهب .اقترب مني أحد الرجال الأكبر سنا وطالبني بمعرفة الوكالة التي أعمل بها. قلت أنني لا أعرف شيئا وأنني كنت سائحا فقط. لم يصدقني بالطبع وحرك الرجلين الآخرين ليمسكاني بحزم بينما كان يستخرج كماشة من درجه. أمسك بوجهي ووصل إلى فمي. حاولت الصراخ والنضال لكن بلا فائده. سيطر الرجل على ضرسي واستخراجه بدقة من فكي.

أحب أن أعتقد أحيانا أنني أعرف ما هو الشعور بالألم، ولكن لم استطع أن أتخيل كيف كان الشعور الرهيب لسحب الأسنان دون أي تخدير. لقد صرخت الأعصاب في جسدي من الألم وكنت أشعر بأطراف أصابع قدمي تحترق من أحاسيس الطعن. طلب الرجل معرفة الإجابات على نفس الأسئلة وأعطاني كميه صغيرة من المورفين لتخدير ألمي. عندما بدأ يزول تأثير المخدر ، سئلت مرة أخرى نفس الأسئلة مع وعود بجرعة أكبر من الدواء إذا تعاونت. استمر هذا الموال طوال اليوم، وفقدت فيه أربعة من ضروسي. أغمي علي عدة مرات ولم أتمكن من تكوين جملة صحيحه. تركني الرجال بعد ذلك.

عندما استعدت وعيي، كنت وحيدا. مسحت عيناي المنطقة المحيطة في الغرفة الخافتة. هناك شيء متألق بالقرب من مقعدي. يبدو ان الرجل الذي كان يستخدم الكماشه لاستخراج أسناني قد تركها ملقاة على الأرض. استغرق الأمر كامل وقوة إرادتي لإسقاط الكرسي إلى جانبه. ثم تمكنت من القبض على الأداة المعدنية بيدي المقيدتين واستخدامها لكسر الأشرطة حول جسدي. استغرق الأمر خمس دقائق للتحرر. كنت أعرف أن المبنى محمي مثل الحصن والهروب من الباب الأمامي سيكون حماقة لذلك انتظرت عودة معذبي. تظاهرت بأنني مقيد وفاقد للوعي، انتظرت حتى اقترب المعذب الرئيسي. عندما حاول فحص نبضي، وضعت ذراعي حول خصره وصادرت سلاحه.

لقد كان السلاح عامرا. أفرغت الطلقات أولا علي الحراس الثلاثة الذين كانوا يقفون خلفه قبل أن أضربه على رأسه بعقب المسدس.

لقد رحل(مات).

أخذت زي أحد الرجال وارتدينه قبل أن أنتقل خلسة من الغرفة. كان هناك عشرات الموظفين يسيرون عرضا حول الممرات ولكن لم يشك أحد بي. تمكنت من مغادرة المجمع الأمني بأمان والوصول إلى مكان التقاءي. كان جسدي مصابا بكدمات شديدة وبالكاد كنت أتوازن على قدمي.

كانت منطقة الالتقاء صامتة بشكل مخيف. رقص الضباب الكثيف مثل الأشباح بينما كانت الرياح الرطبة تسحق بلا قلق حول الأعشاب الطويلة. لم يكن هناك مساعدة في الأفق. فقدت الطاقة للبقاء واقفا ووقعت على الأرض.

بينما كنت مستلقي في العذاب، وأشعر بالألم خلال عروقي، تساءلت ماذا كان سيحدث لو أتيحت لي الفرصة في حياة طبيعية، بعيدا عن التعذيب الوحشي والتشويه الذي سيطر على حياتي اليومية.

كيف ستكون الحياة إذا لم يكن علي أن أطير إلى زوايا نائية من العالم كل أسبوع وأقتحم مرافق سرية واسرق أسرار الدولة أو أتجسس على العلماء المطمئنين أو تجار الأسلحة؟ هل كنت سأكون في صفاء وسلام خارجي أكثر من ذلك بكثير؟

أتمنى لو كان لدي زوجة محبة. أتمنى لو كان صديقي معي، لا يزال على قيد الحياة.

أتمنى لو كان لدي ابن يمكنني أن أعطيه كل الحب الذي لم يمنحني إياه والدي أبدا.

أتمنى لو كان بإمكاني إنقاذ أمي وإبقائها معي في أجمل منزل و اجمل حديقة حتى تكبر في السن

أتمنى لو كان لدي يوم واحد من السلام أو الحب في حياتي.

لكنني لم أفعل .

الخوف حكم كل فكر وحركة في حياتي الشيطانية.

كنت حذرا من تكوين المعارف خشية أن يتعرضوا للأذى على حسابي وكنت خائف بشكل مضاعف على أولئك الذين لديهم أي مشاعر تجاهي لأنني كنت أعرف أنهم سيعانون. هذا هو السبب في أنني قضيت معظم حياتي وحيدا. حاولت عدم تكوين أي صداقات، خاصة بعد أن تم أخذ كل من اعرفهم بوحشية بعيدا. لقد فقدت كل أصدقائي القدامى إما بسبب التعذيب اوالموت . واما أولئك الذين عاشوا تم التلاعب بهم إلى حد اللاعودة. لقد كذبوا عليهم وتعلموا أن يكرهوني ويعتبروني العدو اللدود لهم. المآسي في حياتي جعلتني أتمنى لو كان بإمكاني الغرق في حفرة والغرق بعيدا إلى عالم طوباوي، حيث لا أحد يتأذى على حسابي ولا يمكن لأي عدو أن يتغلب علي.

جاك سيكون في هذه البقعة ،كما تم الاتفاق قبل الرحلة، إذا كان قد ذهب ، ولكن الراديو صامت لأكثر من ساعة. لقد فحصت المنطقة كلها. كان يجب أن يكون هنا.

قررت أن أجد طريقا بديلا إلى الولايات المتحدة ،عندما بدا الانتظار طويلا بما فيه الكفاية. اتصلت ب(داستن)، جهة اتصالي القديمة من المخيم. تتبع المخترق موقعي ووجهني إلى منزل آمن حيث تلقيت أوراق سفر وهوية جديدة. مرة أخرى، عدت إلى الولايات المتحدة بمفردي وداخل طائرة شحن.

عند وصولي، كان والد إيرينا ينتظر لتحيتي على مـدرج المطـار. اشـتكيت لـه عن سلسـلة من المعلومات الخاطئة التي زودني بها وأكد لي أن الجاني الرئيسي هو جاك ، الذي تلقى بطريقة أو بـأخرى رشـوة من الثـالوث الصـيني ووافـق على بيـع الخطـة. روايتـه بـدت حقيقيـة . لقـد انطلقت على الفور لتعقب طيار القوات الجوية الذي خـانني .واسـتغرق مـني ثلاثـة أشـهر من البحث المستمر لتحديد مكان وجوده. كان (جاك) يعيش في جزيرة إسكتلندية نائية تحت اسـم مستعار عندما ظهرت على عتبة بابه لمواجهتـه بجرائمـه، تظـاهر بالمفاجـأة. أخبرتـه أن مـدير وكالة الأمن القومي أخبرني كيف باعني للصينيين . وجد جاك بطريقة أو بأخرى القضية برمتها مسلية جدا ورد أنه كان فقط يتبع الأوامر. أصر على أن والد (إيرينـا) أمـره بـالتخلي عـني في القرية الصينية وانه لم يكن من المفترض أن أعود حيا وفقا للخطة لأن العملاء الصينيين كـان من المفترض أن يعدموني.

وعندما تذكرت الألم الرهيب الذي وضعني فيه الجلادون الصينيون، شـعرت بالغضـب يغلي في داخلي. كنت مستعدا لقتل (جاك) بسبب ما ظننت أنه فعله بي لكن قصته كانت صـحيحة مـاذا لو كان يقول الحقيقة؟ بدا من المستحيل أن والد إيرينا يريد مني أن يتم القبض علي وتعـذيبي وقتلي من قبل الصينيين. عدت إلى إيرينا وعقدت محادثة صادقة معها. أخبرتها كل شيء عمـا أخبرني به (جاك) أصبحت غاضبة جدا مني لاتهام والدها بأنه خائن ولم تصدق إيرينـا أن والـدها قادرا على إيذاء ذبابة وذهبت لمواجهة والدها في ذلك اليوم. وقال مدير وكالـة الأمن القـومي دامعا لابنته إنه بريء وانني اقوم بتلفيق التهمة له. كما نبهها أن تكـون حـذرة لأنـني أيضـا قـد أكون عرضة للخطر أو ربما أصبح جاسوسا لوكالة أجنبية. جاءت (إيرينا) إلى شـقتي وحـذرتني من التحدث بسوء عن والدها مجددا. لقد كان بريئـا، كـانت متأكـدا من ذلـك بمـا لا يـدع مجـالا للشك.

كانون الأول/ديسمبر 1988

كان العام على وشـك الانتهـاء واحتفـالات عيـد الميلاد لا تـزال قائمـة في كـل ركن من أركـان شوارع المدينة. كانت إيرينا قد خففت من موقفها بشـأن تحقيقي في البعثـة الصـينية ودعتـني إلى مزرعتها العائلية لقضاء العطلات. لقد كنت مبتهجـا ربمـا سـامحني والـدها على لومـه لي على المهمة الفاشـلة في الصـين. عنـدما وصـلت إلى منزلهـا، اسـتقبلني والـد إيرينـا المسـن بحـرارة. لم يعـد مـدير وكالـة الأمن القـومي وكـان الـرئيس قـد قـام بترقيتـه ليكـون مـدير الاستخبارات الوطنية. ويمكن القول إن جهـاز الاسـتخبارات الوطنيـة كـان أعلى منصـب يمكن تحقيقه في مجتمع الاستخبارات. كنت فخورا وسعيدا بالنسبة لـه وإيرينـا كـانت سـعيدة للغايـة في نجاح والدها. استمتعنا بحفلـة عيـد الميلاد المبكـرة وكنـا مشـغولين بوضـع أضـواء العطلـة المزخرفة حول المنزل. عندما حان وقت التقاعد، كان والد إيرينا غاضبا بشكل واضح. وحـذرنا من أنه يجب علينا الالتزام بقواعد منزله التي تنص على أنه لا يمكن للزوجين غـير المـتزوجين أن يتقاسما غرفة. لقد كنت محطمـا لكن (إيرينـا) أصـرت على احـترام رغبـة والـدها وبالتـالي أخذت على مضض غرفة مجاورة لها وقضيت الليلة المضطربة أفكر في خطيبتي.

استيقظت في وقت مبكر من صباح اليوم التالي وتجولت حول المنزل الفسيح. لقد كان مزينـا بذوق جميل وتجولت في العلية والطابق السفلي، أدرس صـور عائلـة إيرينـا المزينـة لجـدران طرق القاعة. كانت هناك صور مبهرة ل(إيرينا) مع والدها. بدت العائلـة دافئـة. كنت في حـيرة

من غياب والدتها. إيرينا لم تتحدث عن والدتها . ولا صـورة واحـدة للمـرأة كـانت موجـودة في المنزل. قضيت ساعات طويلة في العليـة ، وفي البحث من خلال الصـور القديمـة والمغـبرة ، وأخيرا وجدت صورة بالأبيض والأسود لسيده اسمراء جميلة.

ملاحظة في الأسفل مؤرخة للصورة في وقت ما من ولادة إيرينا.

تم التوقيع عليه: إيكاترينا.

لم يترك التشابه الصارخ للوجه مع إيرينا أي شك في أن هـذه كـانت والـدتها. ذهبت في عجـل ومعي الصورة القديمة على أمل ان اظهرهـا الى إيرينـا حـتي تكـون قـادرة على أن تقـول لي المزيد عن حياة والدتها.

لقد تطرقت الي موضوع والدتها بعد العشاء في ذلك اليوم وعرضت على إيرينا الصورة الـتي وجدتها في الطابق السفلي. اندهشت، فلم تكن إيرينا متحمسة للسـماع عن والـدتها. وتمتمت أنها لا تهتم بعد الآن. عندما ضغطت عليها حول هذا الموضوع، شرحت ما حدث.

وفقا لوالدها، بعد ولادة إيرينا، والدتها إيكاترينا التي كانت أصلا من روسيا، تخلت عنهـا وهـربت من البلاد. كانت مطلوبة في الولايات المتحدة لقضايا تجسـس متعـددة. كـان على والـد إيرينـا تربيتهـا بنفسـه لعـدة سـنوات. وعنـدما بلغت ايرينـا السادسـة من عمرهـا، عـادت إيكاترينـا وطالبتها(والد ايرينا) بالبقاء جزءا من الأسرة مرة أخرى. كانت تنفجـر في نوبـات من الغضـب وتصرخ على زوجها. وفي أحد الأيام، ألقت عدة أشياء ثقيلة على والد إيرينا، الذي كان ضـابطا صغيرا في وكالة الاستخبارات المركزية في ذلك الوقت. واستدعى الشرطة على الفور، وبعـد محاكمة مطولة، أقنع هيئة المحلفين بالإفراج عن زوجته. بحلول هـذا الـوقت، فقـدت إيكاترينـا اهتمامها بابنتها وغادرت إلى الاتحاد السوفيتي مرة أخرى. لم ترى إيرينا والدتها مرة أخرى.

"بعد ذلـك اليـوم، كـانت ميتـة بالنسـبة لي. لم أتحـدث عن أمي مـرة أخـرى". أخبرتـني إيرينـا والدموع في عينيها "لقد آذت والدي. أمي لم تكن موجوده من أجلي".

حاولت فهم   الموضوع . "انظري، إيرينا،" اعتقد ان هناك منطق وراء تصرفها. ربما كان هناك سبب لما فعلته ماذا لو تعرضت سلامتها للخطر وهـربت لحمايتـك وحمايـة والـدك من الخطـر الذي كانت فيه؟"

قالت إيرينا بحرارة: "لا يهمني ما كانت تواجهه. "أي نوع من الأمهات تعتقـد أن لهـا الحـق في التخلي عن طفلها؟"

حاولت تهدئتها ووانهاء الموضوع

لكن الفضول تسلل الي ذهني.

أردت أن أعرف ما حدث حقا ل(إيكاترينا) .أحببت إيرينا وأردت أن أعرف عائلتها مثل عائلتي.

العائلة كانت شيئا لم يكن لدي .لم يكن لدي أب رحيم أو أم محبة . لم أكن أعرف كيف يكـون الأمر عندما يكون لديك إخوة، لمشاركة الألعاب والأفراح.

قبل أن أقابل إيرينا، كان الشيء الوحيد الأقرب إلى العائلة بالنسبة لي هو المرأة الشيشانية التي رأيتها تعبر شارعا مزدحما في مانهاتن. لم يمض سوى أشهر على إرسالي المعسكر إلى الولايات المتحدة لأصبح عميلا سوفياتيا نائما. كنت وحدي في مدينة كبيرة ووجه المرأة المألوف ذكرني بأمي التي كانت لدي ذات مرة. كانت المرأة في الثلاثين من عمرها، وربما أصغر ببضع سنوات مما كانت ستكون عليه أمي، لو عاشت. بالنسبة لي، كان الأمر كما لو أن جزءا من حياتي قد عاد.

كنت صبيا شيشانيا يبلغ من العمر 19 عاما، أجبر على أن يصبح عميلا مارقا لوكالة تجسس روسية استخدمت وسائل غير تقليدية لإجبار قادة العالم على القيام بمزايداتهم. كنت أعرف أنني بيدق)بيدق في الشطرنج(، تركت ليتم التخلص منه دون أي تحذير.

بالنسبة لي، العيش، لم يكن له معنى كبير. لم يكن لدي عائلة أو أصدقاء. كنت غير محبوب، غير مرغوب فيه. كنت وحيدا وحزينا مع حياه لا معنى لها . كانت أميركا مختلفة عن روسيا من حيث أن العديد من الناس من الدول الأجنبية كانوا يملأون الشوارع. كان من المريح أن أرى أنني لم أكن الدخيل الوحيد في قارة أمريكا الشمالية الشاسعة.